19me, année No 927

Le Caire 9 — 4 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٢٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ رجب سنة ١٣٧٠ — ٩ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ربيعك في نفسك

كنت كلما أقبل أبريل بالربيع تلقيته وفي نفسي بهجة الطفل، وفي عيني وضاءة الجنة ، وفي قلبي صبوة العاشق ، وفي حسي نشوة الشاعر ، وعلى لساني أغرودة البلبل . ثم أجدني بعد همود الشتاء وعبوسه قد تجاوبت مع الطبيعة ؛ فأنضر مع الغصن ، وأتفتح مع الزهر ، وأنطلق مع النسيم ، وأمرح مع الطير ، وأزدان مع الروض ، وأقضي أواخر النهار على ضفاف النيل ، وأوائل الليل في ملاهي القاهرة ، فأجد لكل شيء جمالا ، وفي كل عمل لذة ، وعلى كل منظر فتنة !

أما اليوم فإنه يقبل به علي فلا ألقاه ، وإذا لقيته لا أراه ! ذلك لأن ستاراً من ظلام النفس يفصل بين عيني ونوره ، وحجاباً من كآبة الهيش يحول بين قلبي وسروره !

فأنا أمشي في شارع فؤاد — إن مشيت — فأرى حياة الربيع من حولي تتدفق باللهو ، وتتألق بالجمال ، وتتأنق بالزينة ، وأنا محمول على عبابها المضطرب ذاهل الوعي بارد الحس خامد الحركة ، كأنني جثة قتيل على سطح نهر ، تمور الأمواء تحتها بالحياة ، وتزدهي الشطآن حولها بالنضارة ، وهي تجري إلى مصيرها المجهول لا تفصل بالكون ولا تشعر بالوجود !

وأنا أغشى مسرح اللهو — إن غشيت — فأرى الوجوه تهش ، والثغور تبسم ، والعيون تقول ، والقلوب تصغي ، وأنا جالس إلى المنضدة الرخامية لا أجد بيني وبينها فرقاً في الجمود والبرود ! فتلك كتل الأسمى الأصلخ في الرقص الصاخب : يرى أفواهاً تنفخ في مزامير ، وعصياً تضرب على طبول ، وأجساداً تلتصق بأجساد ، وشفاهاً تنفرج عن ثغور ، ثم لا يسمع أنغام العازفين فيطرب ، ولا يدري كلام الراقصين فينتعش !

لقد خبت وقدة القلب وعادت جراته رماداً !

أذلك لتقدم السن ، أم ذلك لتأخر الصحة ؟ لا يا صديقي ! لا تقدم السن يؤخر الربيع ، ولا تأخر الصحة يقدم الخريف . ما دامت فيك حياة ففيك شعور . والشعور إن يبلد يدرك الحس في جمال الطبيعة ؛ وإن يرهف يدرك الروح في حس الجمال . إنما هي الحياة العفنة التي نحياها اليوم في مصر ! مستنقع من الماء الآسن ، تنعقد عليه أبخرة خانقة ، وتسطع منه روائح خبيثة ، وتطن فوقه حشرات سامة . فإذا لم يؤتك الله الشاعر السحرية التي تجعل الظلام نوراً ، والبخار بخوراً ، والطنين شدواً ، والكدر صفواً ، عناك أن تجد اللذة ، وأعياك أن تسيغ العيش !

لقد كنا من قبل نبصر الحياة بالقلب والقلب فنان ، ونحن الآن نبصرها بالعقل والعقل عالم !

احمد حسن الزيات

٩ – الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

الجماعة الدينية :

رأينا أن للجماعة الدينية فى النظام الاجتماعى وظيفة مزدوجة؛ فهى تصون ذلك النظام وتنسق اتجاهاته ومثله العليا وتساعد بذلك على توحيد عناصر السلوك الإنسانى فيه فتحقق تكاملا اجتماعيا سليما . والوجه الثانى لهذه الوظيفة المزدوجة هو فصل تلك الجماعة عن المجتمع الأكبر روحيا واجتماعيا . ولنبدأ بمعالجة الوجه الأول :

للجماعة الدينية دستور مدون يبين وظيفتها الاجتماعية هو كتابها المقدس؛ وعلى مقدار صلاح ذلك الدستور لمواجهة التطور فى الزمان والمكان يتوقف استمرار تلك الوظيفة ومبلغ إتقانها لثورات الفكر أو تقبلها لدعوات الإصلاح

والتكامل الاجتماعى لتلك الجماعة الدينية يتقى كثيراً من الشر إذا فسح المجال لدعوات الإصلاح أو ثورات الفكر أن تجادل وظيفة الدين الاجتماعية على أن يكون سلاح تلك الجماعة مستمدا من روح العصر ولغته وعلومه ومعارفه

ودفاع الجماعة الدينية عن وظيفتها الاجتماعية لا يكون بوقف باب الاجتهاد وإنما يكون بتصحيح الأخطاء التى تنتج عن سوء اجتهاد المصلحين أو الملحدين . فالشك سبيل إلى اليقين ، ومعالجة الشك لا تأتى إلا بطريق الإقناع . والشك مرض، وأمراض العالم تعالج بأسلحة حديثة وإلا نفر الناس من الجماعة الدينية نفورهم من الحلاق أو الساحر الذى يعالج المرض بوسائل ما قبل التاريخ . والمتشكك المنكر لوظيفة الدين والثائر على الجماعة الدينية إذا عجز عن الاقتناع مثله مثل المريض الذى يأبى التطبيب فيموت بعلته

ولكن من حق الجماعة الدينية إذا عجزت عن إقناع المنكر لها الثائر عليها أن تحاربه بأقصى ما تستطيع من عنف وجهد ، وإلا كان مثله مثل الجماعة التى تقصر عن علاج المجذوم ثم تتركه ينقل المدوى إلى جسمها الأكبر

ولقد أعرب جماعة كبار علماء الأزهر عن هذه الحقيقة حين ناقشوا كتاب الأستاذ خالد محمد خالد « من هنا نبدأ » فقالوا « إن لكل فرد من المسلمين (الجماعة الدينية الإسلامية) الحق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ والنكوص عنه مع القدرة عليه إثم عظيم (1) »

فسعة الصدر لدى الجماعة الدينية فى مناقشة المتشككين والمدعين ضرورية للتكافل الاجتماعى الذى هو من خصائص وظيفة تلك الجماعة . فتاريخ نمو الوعى الدينى كتاريخ نمو الوعى السياسى والاقتصادى كان وليد النقاش والجدل والشك والإقناع، وإلا فالجمود صفة تلازم الجماعة التى لا تناقش ولا تجادل ولا تقنع المتشكك الثائر

ومناقشة الجماعة الدينية فى وظيفتها الاجتماعية ونهوض تلك الجماعة للدفاع والإقناع وسيلة من وسائل تنشيط الفكر ، وتهيئة تلك الجماعة لمواجهة التيارات المستجدة فى التفكير والسلوك . فالتطور الفكرى غريزة فوق أنه ظاهرة تستمد وجودها من طبيعة الأشياء . فإذا تسلحت تلك الجماعة بسلاح العصر استطاعت أن تكشف فى وظيفتها الاجتماعية نواحى جديدة لم يفطن إليها السلف فتزيد بذلك من مكانتها فى النظام الاجتماعى وتعزز كيانها فتزيد من سلطتها الروحية رسوخاً وقوة

فالمشكلة إذن ليست فى ميلاد الشك والثورة الفكرية وإنما فى مبلغ استعداد الجماعة الدينية للتعرف على حقيقة وظيفتها على ضوء العلم والمعرفة المستمدة من روح العصر

ويجب أن لا يساء الفهم فى تحديد معنى الجماعة الدينية ووظيفتها . فالجماعة الدينية لا تعنى فقط أئمة الرأى وحفظة الدين والنخبة الممتازة التى تتخصص فى تدريس الدعوة ونشرها بين الناس والقيام على إحياء شعائرها

فقد عرف (هوات) الجماعة الدينية بأن يكون لها (تاريخ خاص وكيان اجتماعى خاص وخصائص خاصة وسلوك وأهداف وغايات

(1) راجع عددى ٣ و ٤ يونيه سنة ١٩٥٠ من جريدة المصرى

خاصة (١) وقد يفهم من هذا أن مفهوم الجماعة ينطبق على جميع المؤمنين الذين يعتنقون العقيدة ويؤمنون بها . وهذا تعريف صحيح ؛ ولكن علم الاجتماع وإن كان يؤمن بصدق هذا التعريف وصوابه يصر على « أن الظاهرة الاجتماعية فى العبادات والسلوك الدينى مدينة إلى جهود الخاصة من حفظة الدين والمتبحرين فى اختباره ودراسته وصيانة تعاليمه من سوء الاجتهاد والتحوير (٢)

وهذا يعنى أن عبء وظيفة الدين فى تحقيق التشاكل الاجتماعية يقع جزء كبير منه على الخاصة من أهل العلم والاجتهاد والأئمة

فالتحريف فى الطقوس والعبادات يعنى تحريفاً فى أوجه التكامل الاجتماعي الذى يكون للدين ضلع كبير فى توطيده وتحقيقه . وكلما تعقدت الطقوس وأنواع العبادات ازدادت مسؤولية الخاصة من حفظة الدين ، وبالتالى ازداد أثرهم فى توجيه التكامل الاجتماعى خيراً أو شرا تبعاً لاستعدادهم لمواجهة التحدى الفكرى (الشك والثورة) الذى يكاد ينحصر فى انتقاده للطقوس والعبادات والرمزيات التى تعبر عن العقيدة الدينية لا لجوهرها

وكلما كان الدين وتعاليمه وعباداته وطقوسه فى متناول العامة من المؤمنين كان صيانة تلك التعاليم أكثر سهولة

وظيفة الإمام المسلم فى المسجد تختلف عن وظيفة الكاهن فى معبد بوذى مثلا . فالإمام وظيفته ديمقراطية بمعنى أنه يؤم المؤمنين فى إقامة الصلاة ، بينما وظيفة الكاهن أو الراهب وظيفة مهنية تنحدر إليه بطريقة معينة سبلها وأسسها وشروطها . ذلك لأن الإسلام وقد خلا من الكهنوت ترك الإمامة لأكثر الحضور أهلا فى إقامة شعائر الدين فتجنب بذلك حصر السلطة الدينية فى أيدى الخاصة

ولقد اتبع المسلمون فى العصور الحديثة تقليداً يدل على مدى مرونة الإسلام فى مجاراته التطور . فأصبحت الإمامة فى المساجد لجماعة من الذين تفرغوا لرعاية شعائر الدين على نحو يلائم الحياة اليومية الحديثة التى تتطلب من المؤمنين أن يقوموا بوظائف الحياة الاقتصادية المعقدة فلا تمكنهم ظروفهم من اختيار من يؤمهم فى الصلاة كلما دعاهم المؤذن إليها

ولكن هذا التقليد لم ينف الجوهر الديمقراطى فى وظيفة الإمام . فهو لا يتميز عن بقية المؤمنين بشئ ، ولا تزيد حسنته عند الله مثقال ذرة ، ولا يتخذ لنفسه صبغة الاحتكار للشؤون الدينية

والامام أو الواعظ فى الإسلام ليس عمله أن يقيم شعائر الدين بالنيابة عن بقية المؤمنين ولا أن يكون وساطة بينهم وبين الله . فبدون الإمام تقام تلك الشعائر ، وإقامتها واجبة على كل مؤمن ، وإنما وظيفته أن يسهل لهم سبلها بالوعظ والإفتاء والإقامة، وأن يشرح لهم ما استعصى عليهم فهمه من أمور الدين؛ فهو إذن لا يتميز عن بقية المؤمنين بمهنة موروثة أو درجة معينة فإذا كانت وظيفة حفظة الدين فى الإسلام ديمقراطية فإن من واجبها أن تجادل الناس وتثقفهم وأن تستمع إليهم وترد على شكوكهم وتوجههم توجيهاً يتفق مع هذه الوظيفة الديمقراطية التى تحفظ التوازن فى نطاق المصلحة الجوهرية للأكثرية التى تؤلف الجماعة الدينية

ومما يزيد فى أهمية هذه الوظيفة الديمقراطية لحفظة الدين فى الإسلام أن ردهم وإقناعهم ومنطقهم وتوجيههم مستمد من المادة الأولى (القرآن والحديث والقياس والإجماع) التى هى فى متناول جميع المؤمنين . فإذا تكلم المفتى أو الإمام أو الواعظ فإنما يردد ما يقرأه عامة المؤمنين صباح مساء فى صلواتهم وأدعيتهم وكتبهم الدينية . فالدستور الدينى فى الإسلام ليس رموزاً ولا طقوساً معقدة صعبة الفهم والإدراك

فوظيفة حفظة الدين فى الإسلام كوظيفة النائب فى البرلمان يتقيد بمواد الدستور وينوب عن الشعب فى التعبير عنها . ومهما اختلف الناس فى صلاح هذا النائب أو ذاك وفى قدرته وتضلعه فى معالجة المشاكل فإن الاختلاف لا يمس جوهر الفكرة الديمقراطية التى بعثت به إلى قبة البرلمان

إذن فالعلاقة بين حفظة الدين والقائمين على دراسة تعاليمه وشروحه وتفاسيرها ووظائفها الاجتماعية وشرحها بين الناس

---

(١) A. B. Halt, The Sources and Methods of the Sociology of Religion

(٢) Malinowski Magic Science and Religion

وبين المؤمنين من الرعية هي علاقة متممة بعضها لبعض. أسسها ديمقراطي؛ وهي لذلك من أهم الدعائم التي تحفظ التكامل الاجتماعي

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض نقدة الدين أنهم ينتقدونه ممثلا في بعض حفظته. ومثلهم كمثل من ينتقد النظام البرلماني لفساد بعض النواب وقصورهم. وهذا النقد فوق أنه خاطئ فإنه شر يمس صميم التكامل الاجتماعي الذي هو هدف كل حركة إصلاحية؛ دينية كانت أم سياسية أم اقتصادية

وقد يزداد شر هذا النقد على أسس ذلك التكامل أن يقوم بعض حفظة الدين بتولية أنفسهم سلطة ديكتاتورية لم تعترف بها العقيدة ولم تشرعها السنة أو السلف الصالح

وتفادي هذا الشر لا يكون إلا بترقية أساليب النقد ووسائل الرد عليه. وفي عالم تزداد المعرفة فيه يوما عن يوم فإن على الناقد والمنتقد معاً أن يدركا مقدرة الناس على تمييز المنطق المخطئ أو المصيب حين تكون تعاليم الدين سهلة مبسطة واضحة بينة كما هو الحال في الإسلام

فإذا عجز حفظة الدين عن تسليح أنفسهم بسلاح المنطق العلمي الحديث والمعرفة والعلوم العصرية فإنهم بذلك يسيئون إلى صميم العقيدة الدينية ويبثون في نفوس بعض الناس شكا وارتيابا ما كان ليثار لو أن الإقناع كان باللغة التي يفهمها أهل الجيل، وهي لغة تستمد تعابيرها ومنطقها من الحقائق الاجتماعية التي يعيشون فيها ومن مناهج تعليمية، الدروس الدينية فيها قل أن تحظى بانتباه أو أن تعالج بالقدر الذي تستحقه نظراً لأهمية الدور الذي يؤديه الدين في النظام الاجتماعي

نيويورك «البحث صلة» عمر حليق

مراكش

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

قطر شقيق جريح ؛ وكلنا في الهم شرق !

إيه يا شرق! أما لليلك من آخر؟ وهل لفجرك من شروق؟ إنني حيثما قلبت النظر لم أجد إلا شعبا كليما، وحيثما أدرت البصر لم أر إلا هما مقيما!

يا شرق! لقد أتى عليك حين من الدهر كنت تدير الدنيا وتتحكم فيها، وكان العالم يحسب لكلمتك ألف حساب وحساب، يتقرب الملوك إلى خلفائك، وتخضع الشعوب طوعا لإرادتك. ثم انقلبت الآية وجاء حين آخر فإذا بك إذا ذكر الأحياء لا تذكر. والأمم لا تعيش في ماضيها وإنما تعيش في حاضرها ومستقبلها، فهل آن لمجدك أن يعود؟

وأنت أيها الغرب عجبا لك: تؤمن بمبادئك وتكفر بها في وقت واحد؟ فأنت تؤمن بالحرية في بلادك وتكفر بها في غير بلادك. وأنت تؤمن بالمساواة في ديارك وتنكرها على غيرك من الشعوب والممالك. وأنت تؤمن بالديمقراطية وتطمنها في سائر الأقطار! أما آن لك أن تفيء إلى رشدك وأن ترتدع عن غيك! تالله إنك إن لم تثب إلى عقلك فإن أزمة حامية لن تبقى ولن تذر سوف تقتلع مدنيتك وتقضي على حضارتك

وأنت يا فرنسا يامن تقولين إنك مبعث النور والحرية، وأم الإخاء والمساواة والديمقراطية! أما تذكرين أنك منذ عشر سنين سقطت تحت أقدام المحتلين من الألمان فداسوا حريتك وبكى رجالك، وشرد نساؤك وأطفالك، وما زلنا وما زال العالم يذكر ديجول وهو يبكي من دار الإذاعة في لندن على حريتك المسلوبة وعلى شعبك المسكين! أما آن لك أن ترتدعي عن غيك وأن تحترمي الحرية وأن تقدسيها في غير بلادك؛ فما يعرف طعم الحرية إلا من ذاق ألم السجن، وما يقدر الصحة إلا مريض عوفي من مرضه. خبرينا ماذا دهاك وماذا صنعت بمراكش؟ وعلى أي أسس ومبادئ أتحت لقائدك جوان فعاث فيها فسادا وبطشا وإرهابا وطمس شعبا وأذل سلطانا؟

ثم طلعت جريدة الإيكونومست البريطانية منذ أيام تطلب إلى الحكومة البريطانية بمناسبة الحالة في إيران أن ترسل بوارجها إلى مياه الخليج الفارسي لأن الشعوب الإسلامية لا تخاف إلا بالقوة فكأنما نحن الشرقيين نستهدف لحملة مدبرة من الغربيين. ولعل من الخير لنا إذن أن نعرف بلادنا وأن نعمل على جمع كلمتنا وإني هنا أتمم حديثي الأول عن مراكش

أين تقع مراكش

هنالك فى شمال غرب قارة أفريقيا توجد مراكش وهى تطل على البحر الأبيض وتشرف على المحيط الأطلنطى ، وتتكون من سهول ساحلية خصبة تتدرج فى الارتفاع فى الداخل حتى تنتهى إلى جبال مراكش ، وبها أنهار قصيرة تصب فى البحر الأبيض والمحيط الأطلنطى ، ومناخها صيفاً حار جاف ، وشتاؤها دافئ ممطر ، وتتغذى أنهارها صيفاً على ذوبان الثلوج فوق الجبال

وفى السهول يشتغل السكان بالزراعة فيزرعون القمح والشعير والخضر والزيتون والفاكهة . وعلى الحشائش تربى الأغنام والماعز وعلى الجبال توجد غابات البلوط والفلين . وبها من المعادن الفوسفات والنحاس والرصاص والزنك

ويشتغل كثير من السكان باستخراج الاسفنج وصيد السمك . وأما الصناعة فما زالت متأخرة ؛ ومعظم الصناعات تعتمد على الإنتاج الزراعى والحيوانى مثل دبغ الجلود وعمل المصنوعات الجلدية الرقيقة وصناعة البسط والأغطية الصوفية واستخراج الزيت

ولعلك تسألنى متى دخلت مراكش فى الإسلام وما هو الدور الذى لعبته فى تاريخه ؟ وأنا أجيبك بأنها دخلت الإسلام منذ تم فتحها فى عهد الوليد بن عبد الملك ومنها خرج الجيش العربى بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير لفتح بلاد الأندلس

وقد كانت مراكش من بلاد الدولة الفاطمية حين تم تأسيسها ، ومن بلاد المغرب كانت تخرج سفن العرب فتملأ قلوب سكان إيطاليا وفرنسا فزعا ورعبا ، ثم خضعت للدولة العثمانية واستقلت عنها وقد حافظت على استقلالها حتى أوائل هذا القرن

الحماية :

فى نهاية القرن التاسع عشر انتابت أوربا حمى عنيفة من الاستعمار ووضعت كل من فرنسا وألمانيا عينها على مراكش . وكانت مراكش بلاداً متأخرة وكان سكانها من البربر يتحدون السلطان فى عاصمته فاس . وقد بلغ من سطوتهم أن أحد زعمائهم خطف مندوب بريطانيا ١٩٠٦ مما اتخذته الدول دليلا على عجز السلطان عن حماية الأجانب فى بلاده ؛ وذلك ما اتخذته الدول جميعا سبباً للقضاء على حرية الشعوب واستعبادها

وقد حاولت الدول أن تنشئ علاقات تجارية معها وكانت أسبقها فرنسا ، فكانت تستورد منها الليمون والصمغ وجلود الماعز المراكشى الشهيرة . ثم أقرضت السلطان دينا وبدأت القصة التى أدت إلى الاحتلال

فى ١٩٠٤ عقد الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا على أن تطلق إنجلترا يد فرنسا فى مراكش ، وتطلق فرنسا يد إنجلترا فى مصر

وفى ١٩٠٥ زار القيصر وليم الثانى إمبراطور ألمانيا ميناء طنجة وألقى خطبة ندد فيها بسياسة فرنسا الاستعمارية وأيد استقلال سلطان مراكش للمحافظة على مصالح ألمانيا الاقتصادية ، ودعا إلى تسوية المسألة فى مؤتمر دولى ، فمارضت فرنسا وكادت المسألة تؤدى إلى حرب

وقد اجتمع المؤتمر الدولى فى الجزيرة ١٩٠٦ ووافقت الدول على استقلال مراكش واتفقت على أن تحافظ على الأمن الداخلى كل من فرنسا وإسبانيا

وفى ١٩١١ عادت ألمانيا فأثارت المشكلة المراكشية من جديد ، ذلك أن فرنسا احتلت فاس عاصمة مراكش بدعوى المحافظة على النظام ، فأعلنت ألمانيا أن ذلك خروج على اتفاقية الجزيرة وأرسلت المدرعة « بانثر » إلى ميناء أغادير . وتوترت العلاقات بين فرنسا وألمانيا وانضمت إنجلترا إلى فرنسا وكادت الحرب تقوم . ولكن ألمانيا قبلت ما عرضته عليها الدول . فقد عوضتها فرنسا عن مطامعها فى مراكش ببعض أراضيها فى وسط أفريقيا ، واعترفت ألمانيا بحماية فرنسا لمراكش

وتنقسم مراكش حاليا إلى الأقسام الآتية :

أولا : مراكش الفرنسية وهى تشمل معظم مراكش ويحكمها سلطان وطنى

ثانياً : مراكش الإسبانية ، وتعرف بالمنطقة الخليفية نسبة إلى خليفة سلطان مراكش ومركزه تطوان ، وتعرف هذه المنطقة ببلاد الريف

ثالثاً : طنجة ، وهى ميناء دولى

السلطان الأسير :

وقد نزعت مراكش أخيراً إلى الاستقلال من فرنسا وشجع

٢ – الفـــارابى

فى العالم الاسلامى وفى أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

لا ريب أن قيام الفارابى بشرح الكتب اليونانية الطارئة قد أدى خدمة جلى لليقظة العربية ، ولو لم يقم هو ومن حذا حذوه بشرح غوامض الفلسفة التى وفدت على بلاد العرب من دون سابق ألفة لما نهضت صروح تلك الحركة الفكرية ولم تثبت فى هذه البيئة الجديدة روحيا وماديا. وإذن فإن شرحه للتراث اليونانى كان تلبية لنداء الحاجة التى اقتضتها الظروف القاهرة. ولعله شغل بالشرح عن الابتكار والإبداع . على أن الشرح لا ينقص من مكانته ، ولا أجد كبير فرق بين الشارح والمؤلف ، فإن الأول إذا فهم أهداف الثانى وعرف أفكاره فقد حلق فى نفس الأجواء التى يبسط المبتدع جناحيه فيها وتابعه فى طيرانه وكان معه فى مستوى واحد؛ إلا أن المبتدع يتقدم فيتلوه الشارح . ولقد كانت بركة الفارابى شاملة غير المسلمين والعرب فإن الأمم الأعجمية عندما نهضت واستشرفت معالم الفلسفة اليونانية وجدت فى الفارابى وتلاميذه من يأخذ بيدها إلى الصواب فى متاهة أفكار الفلاسفة، فلذلك عمدت إلى آثاره فترجمتها إلى لغاتها قال (جورج سارتون Sarton) فى كتابه المدخل إلى تاريخ العلم introdnction to the history of scienec ترجم إلى اللغة اللاتينية (جون John) و (جرارد Gerard of Gremood) كتاب إحصاء العلوم للفارابى (وهو من النصف الأول للقرن العاشر الميلادى) [1] وقال (سارتون) إن كتاب (المبادئ) الباحث فى الفلسفة والسياسة الذى ألفه الفارابى فى النصف الأول من القرن العاشر فى دمشق (عام ٩٤٢م) وراجعه وأعاد النظر فيه فى القاهرة بين عامى (٩٤٨ ـ ٩٤٩ م) قد ترجم إلى العبرية عام ١٢٤٨م تحت عنوان hathalot hs-nimaza ot hatlle iyyim وترجمها إلى العبرية (موسى بن تبون Noses I. tibbon) الذى ولد فى مرسيليا وكان قد ترجم إلى العبرية جملة كتب عربية لابن رشد والفارابى وغيرهما وكان من أعظم المترجين فى العصور الوسطى وكان رياضيا وطبيبا وفلكيا [2] وقال سارتون Sarton إن إسحاق البلاغ اليهودى Isaac albalog كان فيلسوفا ومترجما من العربية إلى العبرية وقد ترعرع فى شمالى إسبانيا فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى وبداية القرن الرابع عشر، وقد سعى ليوفق بين علم اللاهوت اليهودى والثقافة الأرسطاطاليسية الصافية الأصيلة. وفى خلال دحضه ونقضه وتفنيده آراء الغزالى و(موسى ابن ميمون Naimonides) قدم ملاحظة تقول بأن أغلاطهم أى أغلاط أتباع ابن ميمون نشأت من أخذهم فلسفة أرسطو بصورة غير مباشرة ، ولم يتهيأ لهم أن يقتبسوها من معينها الأصيل ؛ ذلك لأنهم أخذوها من شروح الفارابى وابن سينا والآخرين [3] . وإذن فإن هذا الفيلسوف اليهودى يرى أن الفارابى وتلميذه ابن سينا لم يفهما أرسطو على حقيقته. وهذه دعوى تظنه انفرد بها ولم يشاركه فيها أحد من البشر، وقد تجشمها لأجل تقريب إمكان التوفيق بين اليهود وتعاليم أرسطو ، ساعيا ليجمل الصعوبة التى وجدها محاولو ذلك التوفيق ويرجعها إلى أن الفلسفة التى بأيديهم المنسوبة لأرسطو مشوهة وممسوخة ، أما فلسفة أرسطو الحقيقية فإنها لا تتعارض مع اليهودية . ليت شعرى ما الذى حمله على كل هذا التمحل والتكلف ؟ ومن قال له إن كل ما قاله

---

(١) vol.2 Part.1 page,171 introduction to the history of sienc sarton

(٢) « « « « « « « « 848 « « «

(٣) vol,2,part,1 page,877 iqtroduction to the history of sience sarton

---

الحركة سلطانها الحالى محمد بن يوسف ، فثارت فرنسا وأرعدت وقام قائدها جوان المقيم العام يثير القبائل على السلطان ويهدده ، وأمام التهديد قبل السلطان ما فرضه جوان !

وقد ذهب صحفى مصرى أخيراً لمقابلة جلالة السلطان وتمت المقابلة، وكان يجلس بجانب الصحفى المصرى أثناء المقابلة المستشار الفرنسى ويقول الفرنسيون بعد هذا إن السلطان ينعم بتمام الحرية

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

أرسطو حق مستقيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأظن هذا اليهودي التائه لو بعث اليوم من مرقده ورأى كيف أن الفلسفة العصرية هدمت هياكل فلسفة أرسطو وإخوانه من اليونان لسخر من أتعابه وجهوده في تقويم المعوج في العصور الوسطى ، ولا بأس أن نشرح كلمة مرت عليك قبل أسطر هي Naimonides فقد شرحها لنا قاموس Webster إذ قال إن Naimonidean منسوب إلى Naimonides أي موسى بن ميمون الذي عاش (١١٣٥ م — ١٢٠٤ م) وكان من أعظم فلاسفة اليهود في القرون الوسطى ، وكانت مدرسته تتوخى الجمع والتوفيق بين فلسفة أرسطو والتعاليم اليهودية (١)

أقول وهذا نظير ما سعى إليه (إخوان الصفاء وخلان الوفاء) من الجمع بين الإسلام والفلسفة اليونانية وكل ذلك ناشئ من إكبار فلاسفة العصور الوسطى لفلاسفة اليونان ، فأخذ كل فريق يؤيد دينه بالتوفيق بينه وبين فلسفة اليونان ، ظنا منهم أن الذي يتفق مع آراء أرسطو الذي كان نابغة خالدة يضمن له الرسوخ والثبات ولماذا ؟ وقد جاء وفق ما اعتقدت إليه العباقرة من اليونان أو أن هذه المساعي كانت ضرورة ملحة استجابة لتبلبل الأفكار حيث اصطدمت في نفوسهم عقيدتان فلابد من التأليف بين ما اختلف منهما؟ وإلا فإن اصطدامهما يودي بإحداهما. غير أن طائفة من المتزمتين ثاروا في وجه الفلسفة وحرموها وقاوموها وأعلنوا بطلانها وسفهوا أحلام الفلاسفة وظنوا أنهم استراحوا فكانت النتيجة أن بقوا سخرية الأجيال المتعاقبة وفي طليعة هؤلاء ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن الصلاح ، والذي يهم موضوعنا اليوم مما تقدم أن هذا اليهودي المنيد يرى أن الفارابي شارح أرسطو قد خلط وخبط ولم يهتد إلى سواء السبيل ، ولم يفهم حقيقة فلسفة أرسطو . ولنتركه واعتقاده ونعرض لشخصية أوربية أثنى عليها (سارتون) في كتابه وادعى أنها كانت تضع ثقتها كلها في صاحبنا الفارابي وتلميذه ابن سينا ، أجل قال (سارتون) في ترجمة (ألبرت الكبير Albert the great) الذي ولد عام ١١٩٣ م في (لوينجن Lauingen) وتعلم ودرس في (بادوا Padova) ثم علم ودرس في مختلف المدارس الرهبانية المسيحية في ألمانيا سنة ١٢٢٨ م وما بعدها ، ودرس في باريس من عام ١٢٤٥م إلى عام ١٢٤٨ م وكانت مؤلفاته تقوم على مدرسة أرسطو ، وكانت نوعا من التفاسير والشروح لما كتبه أرسطو ، ولكنه أقحم فيها حشوا كثيرا مأخوذا من الفلسفة الإسلامية واليهودية ومصادر أخرى مختلفة ، وزج فيها أيضا ملاحظاته الشخصية

يقول (سارتون) (٢) إن ألبرت الكبير هذا قد اعتمد من بين شراح فلسفة أرسطو واتبع بصورة رئيسية خطوات الفارابي وابن سينا وكان على الأغلب لا يرتضي أقوال ابن رشد وابن يهوذا (ابن جبيرول Ibn Oabirol) الذي اعتبره من الفلاسفة المسيحيين الذين قاوموا فلسفة أرسطو ، وقد مال (ألبرت الكبير) ميلا قويا إلى فلسفة موسى ابن ميمون واعتمد عليها ولكنه حافظ على استقلاله . وابن ميمون (٣) هـذا هو الرئيس الحاخام موسى بن ميمون ولد في قرطبة من عائلة يهودية معروفة ، وأكره بسبب الاضطهاد الديني على مغادرة إسبانيا فذهب أولا إلى فاس ثم إلى عكا ثم إلى القاهرة حيث توطن. وكان مشهورا لا في الطب فحسب، بل في الفلسفة والدين . وبالغ اليهود في احترامهم له . وكان ابن ميمون طبيب صلاح الدين الأيوبي ثم طبيب الملك الأفضل وطبيب أشراف الدولة ، وقد تراكمت عليه الأشغال حتى كان أحيانا يأخذه التعب فيعالج بعض المرضى وهو مستلق على الديوان. وكانت معظم تآليفه في اللغة العربية وقلما كتب في العبرانية . وقد ترجمت كتبه إلى العبرانية ثم إلى اللاتينية . أما شهرة موسى بن ميمون فلم تأت من الطب ولكن من محاولته التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وبين الدين والعلم . وأتته أيضا من تعاليمه التي وعاها في كتابه (دلالة الحائرين) الذي دون فيه نظرياته في تقريب الفلسفة اليونانية والعربية من التعاليم الدينية في زمانه ، ولهـذا اتهمه المعاصرون من خصومه بالهرطقة وسموا كتابه (ضلالة الحائرين) رغما من أنه كان يشغل أكبر مركز ديني عند اليهود في القاهرة. وقد ترجم هذا الكتاب إلى العبرانية ثم إلى اللاتينية وكان ذا أثر عظيم على النظريات الفلسفية في القرون الوسطى وما بعدها حتى

(١) قاموس وبستر (٢) Page 935 Sarton

(٣) الطب العربي للدكتور أمين أسعد خير الله الأستاذ في الجراحة في الجامعة الأميركية في بيروت ص ١٥٦

أننا لنجد أثر هـذه التعاليم فى فلسفة (سبينوزا) و(كانت) .

ونعود إلى صاحبنا الفارابى فنلفت نظرك إلى أن من المأمول والمترقب أن لا ينجو أبو نصر من حملات الغزالى على الفلسفة وأقطابها، وأن المسيحيين الذين خاصموا الفلسفة إجمالا قد استعانوا بخصوم الفلسفة من المسلمين ، فموقف الغزالى العقلى والدينى قد راق علماء المسيحيين منذ اللحظة التى تيسر لهم فيها الاطلاع على كتبه ولا يزالون مهتمين بدراسة أبحاثه والعناية بهـا. والمعروف أن الغزالى قد هاجم الفلسفة وذهب فى هجومه عليها إلى تكفير أهلها ، من أفلاطون وأرسطو إلى الفارابى وابن سينا ، وقد مهد لدراستها بكتابه (مقاصد الفلاسفة) ثم حمل عليها فى كتابه (تهافت الفلاسفة) وسرعان ما راج كتابه الثانى عند خصوم الفلسفة من المسيحيين فنلاحظ أن (ريموند مارتن R. Martin) الذى يحتمل أن لا يكون لعلمه بمؤلفات العرب نظير فى أوربا بأسرها حتى العصور الحديثة — فيما يقول جيوم — قد نهض بعد ممات القديس (توما) بمقابلة فلاسفة الإسلام وعلمائه ، واستجاب لمطالب (ريموند بنافورت Raymund Pinnafort) رئيس هيئة الدومنيكيين فى وضع كتابه (الدفاع عن الإيمان) وأدخل فيه الكثير من آراء الغزالى ومنذ ذلك الحين أفاد الكثيرون من علماء المسيحية من آراء الغزالى ، وانتفع القديس (توما) الذى عاصر (مارتن) برسالة الغزالى فى (الاقتصاد فى الاعتقاد) فى وضع كتابه المعروف (الخلاصة الفلسفية فى الرد على الأمم غير المسيحية) الذى وضعه استجابة لطلب رئيس هيئة الدومنيكيين السالف الذكر. وأوجه الشبه بين آراء توما والغزالى كثيرة (١)

ونلاحظ أن الغزالى كان وبلا على الفلسفة عند اليهود والمسيحيين على السواء وكان له الأثر الهدام (٢) فى فلسفة العالم الإسلامى، وكان أثر كتابه (تهافت الفلاسفة) عند هؤلاء جميعا أعمق — فيما يلوح — من أثر (تهافت التهافت) الذى فند فيه ابن رشد موقف الغزالى من الفلسفة . وقد قسم الغزالى الفلاسفة فى كتابه (المنقذ من الضلال) إلى ثلاثة أصناف : دهريين وهم الزنادقة لأنهم جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجودا بنفسه ... ثم طبيعيين وهم الذين سلموا بوجود قادر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ولكنهم أنكروا معاد النفس وجحدوا الآخرة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب ، وهؤلاء زنادقة ... ثم الإلهيين وهم المتأخرون منهم كسقراط وأفلاطون وأرسطو وقد هاجموا الدهرية والطبيعيين ولكنهم استبقوا من رذائل كفرهم بقايا فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من متفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما ...

ويرى الغزالى أن مجموع ما صح من فلسفة أرسطو بحسب ما نقله هذان الفيلسوفان (ابن سينا والفارابى) ينحصر فى ثلاثة أقسام قسم يجب التكفير به وقسم يجب التبديع به (أى اعتباره بدعة) وقسم لا يجب إنكاره أصلا

للكلام صلة

ضياء الدخيلى

(١) تراث الإسلام ص ٣٠٦ وما بعدها

(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٩١ ، ٩٩ ، ١١١

المهلب بن أبي صفرة

للأستاذ حمدي الحسيني

ولد المهلب لأبي صفرة سيد الأزد في اليمن قبيل وفاة النبي (ص) ببضع سنين فتفتحت عيناه في نور الإسلام وأشرقت نفسه بإشراقة الهدى ودين الحق، فنشأ سيداً ماجدا وحرا مستقلا في أمة حرة مستقلة، ومؤمناً مجاهداً في صفوف المؤمنين المجاهدين، وبطلا عظيما منتصراً في ميادين المجد والشرف

هبط أبو صفرة البصرة على أثر حرب من حروب الردة في اليمن، فعاش المهلب هنالك ولم يلبث حتى أصبح سيد العراق بما آتاه الله من صفات السيادة والتفوق على الأقران بالفضائل

قدم المهلب على عبد الله بن الزبير الخليفة البطل أثناء خلافته في الحجاز والعراق وهو يومئذ في مكة، فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان فقال: من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال. أما تعرفه؟ قال (لا) قال هذا سيد العراق، قال فهو المهلب بن أبي صفرة؟ قال (نعم)

أجل هذا هو سيد الأزد وبطل العراق المهلب بن أبي صفرة يخلو به الخليفة عبد الله بن الزبير ويشاوره في أشد أزماته وأعقد مشكلاته وأدق مواقفه وأخطر حوادثه. أليس الزمن عصيباً والموقف حرجاً؟ أليس صولجان الحكم الإسلامي مضطرباً بين يدي عبد الله بن الزبير في الحجاز وعبد الملك ابن مروان في الشام؟ كل منهما يجذبه من صاحبه بما عنده من قوة. أليس العراق وما يجاور العراق من الأقطار الإسلامية كرة تتقاذفها قوات الحجاز والشام تصبح لهذا وتمسي لذاك؟ أليس هؤلاء الخوارج ينكرون على عبد الله بن الزبير وعبد الملك ابن مروان خلافتهما كما أنكروا على علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان خلافتهما من قبل فيتقلبون في أنحاء البلاد من البصرة إلى الموصل إلى الأهواز إلى كرمان يقتلون العباد ويهدمون البلاد ويقيمون على الأشلاء والأطلال ممالك وحكومات

أجل إن الأمر لخطير، ولا بد فيه لعبد الله بن الزبير من المشورة، وهل أرجح من المهلب عقلا وأعلى همة وأوسع معرفة وأعظم نفوذاً حتى يستشيره عبد الله بن الزبير دون المهلب؟ إذاً لا بد لابن الزبير من استشارة المهلب، ولا بد له من أن يوليه على خراسان. حمل المهلب عهد ابن الزبير له على خراسان وتوجه به نحوها عن طريق العراق ووصل البصرة فرأى البصرة تلتهب بنيران الحرب القائمة بين قوات ابن الزبير والخوارج، ورأى أن الخوارج قد تفوقوا على قوات الخلافة تفوقاً ألقى الرعب في قلوب أهل البلاد

ولكن ما شأن المهلب في هذا الأمر وهو سائر في طريقه إلى خراسان ليكون والياً عليها؟ إذاً عليه أن يترك هذه النار المشتعلة تلتهم أكباد المسلمين ويمضي إلى عمله

هذه خطة صحيحة لو كان صاحب هذه الخطة غير المهلب، أما وهو المهلب صاحب البصرة وسيد العراق فلا بد له من البقاء بجانب بلده وقرب أهله ليحمي حماهم من الخوارج وينقذهم من فتك أولئك الشجعان الذين لعبت العقيدة في نفوسهم فخلقت منهم أبطالا في الحروب لا يهابون الموت ولا يخشون الردى

أليس البطل في نظر قومه قوة مدخرة يستعينون بها على الشدائد في الأيام الحالكة؟ وأية شدة أدعى لاستنجاد قوات المسلمين بالمهلب من هذه الشدة المدمرة التي تكاد تطبق على المسلمين بسيوف الخوارج؟ إذاً لا والله ما لهذا إلا المهلب فخرج أشراف الناس فكلموه ليتولى قتال الخوارج فقال لا أفعل

هذا عهد أمير المؤمنين معي على خراسان فلم أكن أدع عهده وأمره. رفض المهلب أن يجيب الناس إلى طلبهم في قتال الخوارج لأن المهلب رجل نظام وطاعة، فلم يشأ أن يخرج عن قاعدته في النظام وعن عادته في الطاعة، وهو رجل عسكري والنظام والطاعة قوام الحياة العسكرية. إذاً لا بد من أمر يصدره الخليفة للمهلب يلغي عهد خراسان ويثبت قيادة الجيوش لمحاربة الخوارج. ولكن أين ابن الزبير الآن من المهلب وكيف يحتمل الصبر حتى تدور المخابرات الرسمية دورتها وهؤلاء الخوارج على الأبواب لا يبلعون الناس ريقهم ولا يدعوهم يهدأ روعهم من الفزع. إذاً لا بد من الحيلة والحيلة، في مثل هذه المآزق مستحبة.. فرأى قائد قوات ابن الزبير مع أهل البصرة أن يكتبوا على لسان

بطل عرفته

عبد القادر الحسينى

بمناسبة ذكرى استشهاده

للاستاذ كامل السوافيرى

يهتف بى الوفاء أن أذكر صديقاً وفيا ، وقائداً عربياً فى مناسبة كريمة . أما ذلك الصديق فهو بطل المروءة المجاهد المرحوم عبد القادر الحسينى ، وأما المناسبة فهى ذكرى استشهاده المجيدة إذ سقط فى حومة الشرف فى الثامن من ابريل سنة ١٩٤٨

وليس البطل بالرجل المجهول الذى يحتاج للتعريف،أو المجاهد المغمور الذى يتطلب الشهرة ، فهو النجم المتألق فى سماء الجهاد ، والكوكب المشرق فى أفق الوطنية ، والسيف البتار فى ثورة الحرية

عرفت الشهيد إبان الثورة الوطنية الكبرى فى فلسطين سنة ١٩٣٦ وهو يخوض المعارك الدامية ضد الجيش البريطانى المجهز بأحدث الأسلحة مع نفر من المجاهدين الأبرار فيسير النصر فى ركابه ، ويعود من المركة وهو مكلل بأكاليل الفخر. ثم توثقت بيننا أواصر الأخوة والصداقة وكلما امتدت الأيام بصداقتنا زدت إعجابا برجولته وتقديراً لشخصيته

ولعل أعظم نواحى إعجابى بالفقيد أنه قضى طفولته يمرح فى

ابن الزبير كتاباً للمهلب يأمره فيه بمقاتلة الخوارج ويعده بعد النصر بالولاية على خراسان، فأخذ المهلب الكتاب بنفس راضية مطمئنة ونهض للأمر العظيم . والغريب فى أمر هذا البطل أنه كان فوق الأحزاب فى ذلك الزمن القائم على الحزبية العنيفة مما يدل دلالة واضحة على أنه كان جنديا مسلماً قد وقف حياته على المصلحة الإسلامية العامة ورصد بطولته على مجد الإسلام وعزته وكرامته . لا يعنيه من يكون الخليفة ولا أين يكون؟ سواء عنده أ كان الخليفة على بن أبى طالب أم معاوية بن أبى سفيان أم عبدالله بن الزبير أم عبدالملك بن مروان . وسواء لديه أ كان مقر الخلافة الحجاز أم الشام، ولهذا فقد رأيناه جنديا غازيا لسمرقند فى جيش معاوية بن أبى سفيان ثم رأيناه موضع ثقة ابن الزبير يمهد له بالولاية على خراسان ثم يوليه القيادة لحرب الخوارج ثم رأيناه موضع ثقة عبد الملك بن مروان فيمهد له بجباية الأهواز، ثم رأيناه موضع ثقة الحجاج بن يوسف الثقفى فيوليه على خراسان

ونعتقد أن وصيته لأبنائه الغر الميامين قبيل وفاته صورة واضحة لنفسيته الكبيرة التقية وأخلاقه الطاهرة الرضية وعقيدته الإسلامية القوية . لنسمع الآن المهلب يوصى أبناءه وقد جمعهم إليه وهو على فراش الموت يودعهم ويوصيهم ويفرغ نفسه فى نفوسهم ويضع عقله فى عقولهم ويصب همته فى هممهم : دعا المهلب بسهام فحزمت وقال (أفترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا (لا) قال أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا (نعم) قال فهكذا الجماعة

أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فإن صلة الرحم تنسئ فى الأجل وتثرى المال وتكثر العدد . وأنهاكم عن القطيعة فإن القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة ، فتحابوا وتواصلوا وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا وتباروا تجتمع أموركم ، وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعلكم أفضل من قولكم فإنى أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك

اعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرب فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده ؟ عليكم فى الحرب بالأناة والكيد فإنها أنفع فى الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين وإياكم والخفة وكثرة الكلام فى مجالسكم)

حمدى الحسينى

أعطاف البشر ، ويختال فى رياض الأنس ، وترعرع فى أحضان النعيم حيث الثراء الواسع والجاه العريض ، والمحتد الكريم ، والمنبت العريق. وهذه العوامل تدفع الناشئ إلى الجنوح للدعة ، والركون للراحة والاستقرار ، والنزوع نحو الرغبات واللذات ، ولكنها لم تؤثر على عبد القادر ، إذ تمرد على بيئته ، وانتقل من الحياة الناعمة حيث الفراش الوثير والماء النمير والطعام الشهى إلى الحياة القاسية حيث يفترش الصخر ، ويتوسد الحجر ، ويطوى جوفه على الجوع ، ويهجر الرقاد ويمتطى الأهوال ، سعيداً بذلك ، طيب النفس قرير العين

وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت فى مرادها الأجسام

ولقد كان البطل كامل الرجولة واضح المعالم فى كل أمر من أموره ؛ ينطق بالحق ، ويؤمن بالصدق ، ويدين بالعدل ويفى بالوعد ويواجهك بما فيك ، ويصارحك بالأمور ، وقد جنت عليه صراحته إذ خلقت له الخصوم والأعداء ، ولكنه لم يعبأ بهم ولم يحفل بخصومتهم لأنه كان يعتقد أرضى خالقه ، وأراح ضميره .

وقد سطر له التاريخ أنصع صفحات التضحية والبذل ، التضحية بالنفس والمال والراحة . لقد حرمت عليه بريطانيا دخول فلسطين جزاء اشتراكه فى حربها عليها سنة ١٩٣١ وعاش الفقيد بعيداً عن بلاده يطارده الاستعمار الظالم من قطر إلى آخر وتلاحقه جنود الظلم وأعوان المستعمر ، وتضع فى طريقه العراقيل وتحوك المؤامرات مما جعله يقضى فترة من حياته فى غياهب السجون فتعود إليه العلل والآلام التى أصابته فى جسمه خلال جهاده المجيد ضد بريطانيا . ولقد تنقل البطل فى عواصم العروبة كلها من دمشق إلى بغداد ومن الرياض إلى القاهرة وكان فى كل حاضرة من هذه الحواضر يترك أطيب الأثر ، وأجمل الذكر

ولقد أنجب أبناءه الثلاثة موسى وفيصل وغازى فى أقطار مختلفة واحتمل فى سبيل ذلك شداد المحن وعظائم الزمن ، فلم تلن له قناة ، ولم يهن له عزم

ولقد كان عبد القادر يرى أن الدفاع عن الوطن واجب مقدس لا يجوز أن يأخذ عليه العامل أجرا ، ولذلك ما كان يستبيح لنفسه أن يتقاضى مرتبا إلا إذا أناخ عليه الفقر ، وقسا عليه الدهر . وقد ضرب فى ذلك أروع الأمثلة فى العفة والنزاهة ، واحتقار المادة ، ونعى على الذين يتخذون الوطنية ستاراً لجمع الأموال طريقهم الملتوى وسبيلهم المعوج

ورغم أن عبد القادر كان قائدا مظفرا لم يعرف عنه أنه هزم فى معركة فقد كانت تشرق فى نفسه جوانب الإنسانية فهو من أشد الناس تأثرا بمظاهر البؤس والحرمان ، وأكثر الناس عطفا ومواساة للبائسين والمعوزين . ولست أذيع سرا إذا قلت إن عبد القادر طالما جفف دموعا ومحا آلاما ، وأعاد البهجة والرواء إلى وجوه عابسة ونفوس حزينة

ولم يكن البطل لأسرته فحسب أو لفلسطين وحدها ؛ بل كان سيفاً للعروبة وفارساً للإسلام . سألته يوما قبيل توليته قيادة منطقة القدس عقب قرار التقسيم المشئوم : ماذا تريد أن تفعل بعد تحرير فلسطين من الاستعمار البريطانى والصهيونية ؟ فأجاب على الفور : أترك فلسطين وأسافر إلى شمال أفريقيا لأحارب الاستعمار الفرنسى كما حاربت الاستعمار البريطانى وأرجو أن يحقق الله أمنيتى وهى أن أفوز بنعمة الشهادة

وبعد فقد مضى عبد القادر ومضى قبله وبعده شهداء أبرار ، وإن أرواحهم لتطل على العالم العربى اليوم وتدعوه فى حرارة أن يحترم هذه الدماء الزكية وتنشده بيت أمير الشعراء

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

يا أبا موسى ! طيب الله ثراك ، وأحسن مثواك ، فلقد أديت الرسالة ، وبذلت لأمتك ووطنك أغلى ما تملك

عليك ســلام الله وقفاً فإننى   رأيت الكريم الحر ليس له عمر

كامل السوافيرى

جي دي موبسان

بمناسبة مرور مئة عام على ولادته

للأستاذ إسكندر كرباج

ولد جي دي موبسان في قصر ميرومنسيل في نورمنديا . وهو من جهة أبيه ينتسب إلى أسرة شريفة مفلسة ، ومن جهة أمه إلى عيلة وضيعة من الفنانين . وكان والده رجلا فاسقاً وأمه امرأة فاضلة . وعندما أخذ الابن يلاحظ ما بين أبيه وأمه من التناقض في الأخلاق والنزعات ، أدرك وهن اتحادهما الذي هو إحدى ثمراته ، وراح يرتاد البحر ويود اقتحام غمراته ، لاعتقاده أنه يمثل كل ما في الحياة من خير وشر ، وبؤس ونعيم . فكان يقضي معظم أوقاته متجولا في السواحل برفقة كابين كيبرن ، وكان من أحب الأشياء إليه الاشتراك مع قرويي نورمنديا في الألعاب الرياضية ، تحت سماء غائمة وفي مهب الرياح الباردة ، والرقص مع الصبايا على نغمات الرباب وفي ظل أشجار التفاح المزهرة . وكان يجلس مع النوتية على صخور الشاطىء ، ويقضي وقتاً طويلا وهو ينظر بمنظاره إلى الأفق البعيد ، متمنياً أن يتجه بزورقه في صباح نير من أيام فصل الربيع ، إلى ماوراء تلك الشواسع المائية من الموانى المجهولة

وأرادت أمه أن يترهب فأدخلته أحد الأديرة ، إلا أن موبسان لم يكن راغباً في الترهب فصرف المدة التي قضاها في الدير ثائراً متمرداً ، لا يخضع لنظام ولا يتقيد بقاعدة وفي ذات يوم كسر غطاء أحد دنان الخمر وراح يكرع منها مع رفاقه التلامذة . وعندئذ عيل صبر رئيس الدير فأمر بطارده

* * *

ثم انصرف موبسان إلى درس الحقوق غير أن نشوب الحرب بين فرنسا وألمانيا عام ١٨٧٠ اضطره إلى هجر المدرسة ودخل في دائرة تموين الجيش . وبينما كان الجيش الفرنسي يتراجع أمام هجوم الألمان العنيف ، كان موبسان يطالع كتب شوبنهور ، وينظم الأشعار في الحب ، ويملل النفس بالانتقام من العدو الذي اجتاح أرض بلاده ، وداس حرمة أمته . ومن برودة الانتقام وحرارة الحب تكون مزاج هذا الكاتب الفني

ولما انتهت الحرب بانتصار ألمانيا ، قصد موبسان باريس ، على أمل أن يجد عملا يساعده على متابعة دروسه ، فدخل موظفاً في إحدى الدوائر البحرية . ولم يكن بين رؤسائه ورفاقه من يعتقد بأن ذلك الأسد الثائر يتحول إلى حمل وديع

أما باريس وشعبها وأندينها وكبار شخصياتها فكانوا لا يعرفون عن هذا الفتى شيئاً . وعبثاً كان يقصد ليلا إلى البوليفار ، ويأخذ في التطلع إلى أوجه المارة ، على نور مصابيح الغاز الضئيل لعله يكتشف بينهم روحاً شقيقة لروحه ، فيأنس إليها ويبثها ما في قلبه من حنين وشجن . وأخيراً وجد نهر السين ضالته المنشودة فأحبه وأنس به وركن إليه ، لاعتقاده أنه الصديق الذي لا يخون ، والرفيق الذي لا يراوغ

فكان يقضي أيام الآحاد بكاملها ماخراً بزورقه في مياه نهر السين ، محاولا تبريد ما يستعر في نفسه من ميول وأهواء . وكانت برودة رياح ذلك النهر الذي هو أشبه بقطعة من البحر ، تنسيه غبار المصلحة التي يشتغل فيها ، ورائحة المقاهي التي يرتادها ، وضجات الفواني اللواتي يجتمع بهن . وجملة القول أنه اتخذ من ذلك النهر عشيقه ورفيقه ونجيه ومهد أحلامه ومن قوله في انصرافه إلى تلك الحياة البوهيمية : « لا عمل لي سوى التجديف والاستحمام ، وقد اعتادت الجرذان والضفادع رؤية نور مصباح زورق الضئيل كل ساعات الليل ، وعندما أقبل عليها ترفع أصواتها لاستقبالي . أما أصدقائي المجدفون فكانوا يدهشون عندما أطل عليهم في منتصف الليل ، وأشاركهم في احتساء كأس من الشراب »

* * *

ثم تعرف موبسان إلى الكاتب المشهور جوستاف فلوبير ، وكان هذا الأديب العبقري قد خوكم وتوطع بسبب روايته « مدام بوفاري » ، وبات منزلا في بيته كركب فرضت عليه المراقبة الصحية ، لا أحد يجسر على الدنو منه . غير أن هذا الكاتب الكبير لم يحزن لما أصابه أو يهتم ، لأنه أصبح وقتئذ لا

لايرسم من صور الحياة إلا بقايا ما في شخصيته التعبة من رؤى وأشباح . لقد كان كالك مخلوع ، قبع في هيكل للفن لا أحد يعرف مدخله سواه .

وكان فلوبير في ذلك العهد يفتش عن تلميذ نبيه، وموبسان يفتش عن أستاذ خبير يمكنه الاتكال عليه . فتفاهما وتصادقا ومزجا روحيهما في روح واحدة . وظل موبسان خلال سبعة أعوام يرتاد بيت أستاذه في أيام الآحاد ، حاملا إليه ما يكون قد حبره في أيام الأسبوع لكي يصلحه له . وكان الأستاذ يقلب نظره في تلك الأوراق المكتوبة ، وهو يشطب بقلمه الرصاصي الأزرق ما يراه شاذاً أو خطأ . ولم يطل أن اكتشف التلميذ سر فن الأستاذ ، وراح ينشب سهام سخريته السامة في أكاذيب الحياة ورياء المجتمع

وفي خلال السنوات السبع التي قضاها موبسان صديقاً لفلوبير ، أرشده هذا إلى طريقة تضمن له الفوز في حياته الأدبية؛ وهذه الطريقة هي أن يلاحظ ، أولا وثانياً وثالثاً ، كل ما يحيط به ويقع تحت نظره ، من مشاهد الحياة وحوادث المجتمع . ولما توفى فلوبير قصد موبسان إلى بيت صديقه وأستاذه المتوفى ، وعملا بوصيته له أخذ يلاحظ ، أولا وثانياً وثالثاً ، غسل الجثمان وإعداده للدفن ، وحمله إلى المقبرة ، وإنزال التابوت إلى الحفرة

كان موبسان يقاسي صداعا لا يحتمل ، ولكي يخفف من هذا الألم كان يلقي بنفسه في مياه نهر السين الباردة . ثم كان يقترب من الشاطئ ليسمع الذين تجمعوا هناك للتفرج عليه كل كلام بذئ . وكان يروى لرفاقه الموظفين قصصاً يحمر لها وجه الفضيلة خجلا ، ويلقي في مسامع السيدات والأوانس اللواتي يجتمع بهن في الحفلات والمراقص كل قول ملتبس . وكانوا يتحدثون عنه ويقولون إنه أوقح رجل عرفته باريس . نعم لقد كان أوقح رجل عرفته باريس ، ولكنه كان في الوقت نفسه من أكثر رجال تلك المدينة ذكاء وعبقرية . ولربما كانت هذه العبقرية نفسها سبب ما كان يعانيه في حياته المضطربة من ألم وضيق . وكان الباريسيون يتحاشونه ، ويتخلفون من مشاهدة ما كان يمثله من الروايات المشبوهة في مختبر لرسام عرف بتعشقه هذا النوع من التمثيل ، ورجال الأمن يسنفونه بشدة كلما اطلعوا له على قصيدة مجونية منشورة في مجلة تعنى بمثل هذه المواضيع

وكان كلما اشتد صداعه ، ولا سيما في أيام الشتاء الباردة ، يقف أمام المرآة ساعات كاملة ، محدقا إلى عينيه كأنه يريد أن يكتشف فيهما أسباب ذلك الألم. وقد كتب مرة إلى أمه قائلا: « إن شهر ديسمبر يخيفني ويبعث في قلبي اليأس . إنه شهر قاتم ومشؤوم ولا سيما في منتصف ليلة آخر السنة. وعندما أجلس وحيداً إلى منضدتي ، ومصباحي أمامي يلقي على نوره الكئيب أشعر بانحطاط قواي إلى درجة لا أعرف معها إلى أين أتجه » ولكنه كان يتجه دائماً إلى رواياته وقصصه ، ملتقطاً مواضيعها من أفواه الصيادين والقرويين والممثلات والغواني والموظفين وغيرهم

واجتمع مرة بفئة من رجال الفكر والقلم في منزل إميل زولا وكانوا يتباحثون في مبادئ المذهب الأدبي الجديد الذي يريدون اعتناقه والتبشير به . وفي أثناء ذلك اقترح أحدهم وضع كتاب عن الحرب التي نشبت بين فرنسا وألمانيا ، ولكن ليس كالذي اعتاد المؤرخون والسياسيون وضعه عن الحروب ، بل كالذي يضعه الأبالسة في الجحيم ، وينفذه البشر على الأرض ، أي أن يكون خاليا من الأوهام والمزاعم ، لا غرض منه سوى إظهار البطولة الحقيقية . وكان من نتائج هذا الاقتراح صدور رواية لموبسان بعنوان « كرة الشحم » وقد جاءت كما أرادها صاحب الاقتراح

لقد أظهر موبسان في هذه الرواية احتقاره وبغضه لبلادة الرجل . ولكن هذا البغض يتحول إلى شفقة في الروايات الأخرى ، ولا سيما في روايته « الحلية » التي هي في نظر أئمة النقد من روائع الفن القصصي الفرنسي (١)

كان موبسان يكثر من تنشق الأثير لكي ينسى آلامه المبرحة بما تحدثه أبخرته في رأسه من الأحلام . وكان ينفق ما يقتصده لقضاء أيام عطلة الصيف خارج باريس على شراء السكنات . وقد كان في لجوئه إلى هذه الواسطة للتخلص من أوجاعه الدائمة صورة جلية للجمال الوثني . ومن قوله : « أحب الفضاء كالعصفور ، والغاب كالذئب ، والصخور كالغزال ، والمروج كالجواد ، وأحب المياه الصافية التي تطيب لنا فيها السباحة

(١) ترجمها الأستاذ الزيات في كتابه (من الأدب الفرنسي)

كالسمك ، وأحب العالم كما تحبه هذه كلها ، لا كما تحبونه أنتم أيها البشر . أحبه دون إعجاب ، وأنشده وأتغنى به دون شعوذة . إني أحبه حبا عميقا وحيوانيا ، حبا دنيويا ومقدسا في وقت معا »

وكان يظهر قلة شفقته على البشر مع أن رواياته تكذبه . ومن قوله : « أريد أن أفتح رأس أحد الشعراء لكي أرى ما فيه »

ولكنه كان يبكي لآلام الحيوانات الخرساء ويشق . فصياح الذئب الجريح يدمي قلبه ، ومشهد جثة البغل مطروحة على بضع خطوات من المرج ، الذي كثيرا ما تمنى أن يرعى فيه ويسرح ، يذيب حشاشته ، ونباح الكلب الجائع يسيل عبراته . وله في شقاء الكلب قصة جد مؤثرة

ومن قوله عن مملكة الإنسان ، أو الحيوان الأصغر ، أن القدر يتسلط على الإنسانية بوحشية مماثلة لوحشية الإنسانية في تسلطها على البغال والكلاب

وقد نفخ في نفوس قرويي نورمنديا روح الحياة ، وكان يتصل بهذه النفوس البسيطة لا عن طريق الروح ، بل بالشعور والفطرة والشم ، وقد كانت هذه الحاسة الأخيرة قوية فيه كما هي في بعض الحيوانات البرية . فكان يقف بواسطتها على تأثراتهم وغرائزهم وأفكارهم ونوع معيشتهم . حتى إن الحياة التي تختلج في صفحات كتبه كانت عابقة بمختلف الروائح ولا سيما المنتنة منها . لأن موبسان لم يكن ينظر إلى الحياة إلا من ناحيتها المنتنة ، فيقبض على هذه الناحية بكلتا يديه ، ويأخذ في دعكها وعصرها إلى أن يمسخها أو يدميها

وكان يستخدم في إعداد قصصه ، حتى الشنيع منها ، أسلوبا خاصا ، لأنه لم يكن يرى فيما يريد أن يكتبه سواء أكان عن الأمراء أم عن القرويين ، شيئا من التفكهة أو الزهو ، ومع ذلك فقد ارتفع في وصفه الألم والبلادة والسخافة إلى أعلى ذرى الفن . وكانت قصصه شبيهة بأمثال لافونتين وروايات بوكاسيو الرائعة

ومن خصائص فنه القصصي تجريد أشخاص رواياته من النفس ومن أية تعزية دينية . ومع ذلك فتشاؤمه وضآلة علمه وأسلوبه المدرسي البسيط ، كل ذلك يدل بأجلى بيان على أنه خير ممثل لجيله الجديد

لم يتقيد موبسان في حياته بأي مذهب من المذاهب الفلسفية المعروفة . ومن قوله في هذا الصدد : « في العالم من الحقائق بقدر ما فيه من البشر فلكل منا فكرة خيالية للعالم . من هذه الفكر ما هو عاطفي ، ومنها ما هو فرح وكئيب ودنس ، أي حسب طبيعة كل واحد . ففكرة الجمال هي اصطلاح إنساني بسيط ، وفكرة القبح رأي بسيط قابل للتغيير ، وكذلك فكرة الحقارة التي يتعشقها الكثيرون ، وأعاظم الفنانين هم الذين يستطيعون إرغام الإنسانية على اعتناق أفكارهم الخاصة »

* * *

كان موبسان كثير التخوف من الموت . ومن قوله فيه : « أنا لا أعتقد باضمحلال كل كائن يموت »

وكان يخاف من الجنون . وقد قال مرة لمدعويه : « يهمني كثيرا أمر الجنون ، وسأكتب قصة عن رجل جن تدريجيا » . ولشدة خوفه من هذا المرض كان يقضي لياليه عند عشيقاته كي لا ينام في غرفته وحيدا . وليس ما نطالعه في رواياته وقصصه من مواقف شاذة وأشباح مرعبة ، سوى صورة جلية لما كان يقاسيه في سويعاته السرية من خوف وارتعاب

وعكف على درس كتب الطب . وكان كلما اجتمع بطبيب يرهقه بالأسئلة عن أعراض بعض الأمراض حتى تبادر إلى أذهان الكثيرين من الأطباء أن موبسان يجمع معلوماته عن الطب لكي يضع رواية يحمل فيها عليهم وعلى علومهم

وتسلط عليه أخيرا مرض رؤية نفسه . فكان يرى ذاته أحيانا كما لو كان ينظر في المرآة ودخل غرفته مرة فأبصر طيفه جالسا على كرسي يطالع كتابا كان قد تركه منذ دقائق قليلة . وألف قصة عن رجل كان طيفه يتعقبه بصورة دائمة . وفيما هو يكتب ذات يوم ، جاء طيفه وجلس أمامه بالذات ، وأخذ يملي عليه ما كان يكتبه . فارتاع من شدة الخوف وصاح رافعا يده يريد طرد تلك الرؤية الغريبة

وكان في أيام الشتاء يجلس إلى الموقد وهو يرتعش من شدة البرد . حتى إنه في أيام الحر كان يحتفظ بنار موقده مستمرة . وكان يفكر في الذباب الذي يعيش بضع ساعات ، وفي الحيوانات التي تعيش بضعة أيام ، وفي البشر الذين يعيشون بضع سنوات ،

٣ - فن القيـــادة

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

بقلم الأستاذ محمد أديب العامري

وفى الختام لابد للزعيم من أن يجمع فى حسابه بين التقاليد والعادات . أجل إن الحياة عنده والبقاء فضيلة ، ولكنه يبنى بناء المستقبل من مواد الماضى المتينة ، فيسكبها فى قوالب تخضع لحاجات الحاضر ، لكنه لا ينبذها . ولقد أوضح (كبلنغ) فى قصة رائعة، كيف يعاقب آلهة النهر بناتى الجسور الذين يخرجون على القوانين القديمة فى الأعمال . إننا نحن رجال القرن العشرين لمسلحون تسليحا عجيبا للتغلب على العالم . لكن للعالم أساليب شنيعة فى الانتقام لنفسه ، ولا يسهل علينا دائما أن نبصر جرائر أعمالنا . ففى الثورة مثلا يقوض الناس وسائل الدفاع المعهودة فى البلاد . غير أن هذا الرأى لا ينكشف إلا فى النهاية . فالثورة الفرنسية انتهت بعهد الرجعة إلى الماضى . أما الزعيم الحكيم فلا ينسى أن ما ينشره العراف لا تلتئم أطرافه بعد أن يكون السحر قد فعل أفاعيله

ومهما يكن مركز الزعيم ، وزيراً، أو مديراً، أو رئيس مكتب، أو بناء ، فإنه يتصل بتابعيه بطرق ثلاث : بالأوامر التى يصدرها والتقارير التى يتلقاها والتفتيش الذى يجريه . أما الأمر فيجب أن يكون واضحا ، إن التخيل والتفكر يمكن أن يكون غامضا ، والخطة التى لم تنفذ بعد يمكن أن تحمل فى تضاعيفها آثار الرؤيا. أما الأمر فيجب أن يكون واضح المعالم ، وجميع الأوامر يمكن أن يساء فهمها . لكن الأمر الغامض لا سبيل إلى فهمه قط . قال (نابليون) : « إذا أردت أن تقوم بعمل قياما حسنا فأده بنفسك »

وفى العوالم التى تعيش بضعة قرون. ثم كان يتساءل : فما الفرق بين الحشرة والكون ؟ بضعة شروق شمس لا أكثر ولا أقل !

وكان لشدة خوفه من الموت يقول : « إن الموت يقترب منى . أريد أن أمد إليه يدى وأبعده عنى . إنى أراه فى كل مكان : فى الحشرات المدوسة على الطريق ، وفى الأوراق المتساقطة على الأرض ، وفى الشيب الذى يجلل رأس هذا الصديق ! إن هذا كله يدمى قلبى ويصيح قائلا لى : أنظر ! إنه يقضى على كل ما تفعله ، وكل ما تنظره وتأكله وتشربه وتحبه ! إنه يحرمنى رؤية شروق الشمس ، وبزوغ البدر ، وتقلب أمواج البحار ، وجريان مياه الأنهر، ونسمات العصر البليلة التى ينعشنا تنشقها ! »

وسادت حالته الروحية بعد فقد أخيه (هرفه) على أثر نوبة جنون انتابته . ولكنه ازداد نشاطا وانكبابا على الكتابة وتأليف القصص والروايات ، حتى إن هذا الدور كان من أكثر أدوار حياته إنتاجا ، كما لو أن السموم التى تفسد دمه ، استخرجت أفضل ما فيه قبل أن تقضى عليه . وكان يتراءى له أن كل ما فى منزله من أثاث وأدوات يتحول إلى حيوانات كانت تدخل غرفته ثم تخرج منها وتنزل الدرج إلى الشارع . ووقف مرة أمام صليب كبير كان قائما فى إحدى الساحات وقال لخادمه : أنظر يا فرنسوا ، لقد كان فى الثالثة والثلاثين عندما صلب ، وأنا الآن أقترب من الحادية والأربعين !

لقد كان موبسان رسام النفس البشرية الأكبر، كان يرسم بدون بغض وبدون حب وبدون غضب وبدون شفقة . كان يرينا ما فى هذه النفس من شوائب وعاهات بلباقة وإتقان يحملاننا على الاعتقاد بأنها حقائق ننظرها بأعيننا ونلمسها بأيدينا

وبعد منتصف ليل رأس السنة بساعات قليلة ، تناول مسدسا وأطلقه على رأسه بحركة جنونية . ولما رأى أن المسدس كان فارغا أخذ يطعن عنقه بشفرة للحلاقة إلى أن سالت دماؤه ثم أخذ ينظر إلى فعلته هذه بصورة تدل على قلة الاكتراث . ولما أسرع الخادم إليه صارخا قال له : أنتظر يا فرنسوا ماذا فعلت ؟ إنه الجنون بعينه !

وقدم الأطباء وضمدوا جراحه . وفى اليوم التالى حملوه إلى البحر لعل رؤيته تعيد إليه وعيه . فحدق قليلا فى اليخت ، ثم حرك شفتيه كطفل ولم يقل شيئا . وعادوا به إلى البيت حيث توفى ، وقد كان ذلك فى عام ١٨٩٣

(العصبة) اسكندر كرباج

ولكن هذا غير صحيح . أما القائد الحصيف فيعترف بأن الذين يدركون الأمور من الناس قليل ، وأن جميعهم على وجه التقريب ينسون ، فليس من الممكن إذن أن يقنع الآمر بإصدار الأمر ، وإنما يجب أن يراقب تنفيذه وأن يتبصر عند إصدار الأمر بأى سبب يمكن أن يعوق تنفيذه . ولاحد لبلادة الناس ولا لسوء الطالع ، ولذا يتوقع الزعيم دائما حدوث مالا ينتظر . والزعيم الذى يسعى للحيلولة دون عوامل الخطأ ويحتاط لنقاط الضعف فى الخطط؛ أقوى على تنفيذ ما يريد عندما يواجهه الناس بغبائهم أو تعارضه الصدف السيئة ، من زعيم آخر لا يحتاط لهذه الأمور

والحاجة إلى هذه الاحتياطات تكون أقل إذا فاز القائد بجماعة من حوله علمته التجارب أنه يستطيع الاعتماد عليهم . ولكل زعيم وطنى وزارته كما لكل قائد عسكرى أركان حربه . وهؤلاء الساعدون يعرفون خصائص زعيمهم كما يعرفون سبيلهم إلى خدمته ، وهم لذلك يدركون تعليماته فى سرعة متناهية ويراقبون تنفيذها إلى آخر حرف فيها . غير أن عدد الذين يمكن الاعتماد عليهم من الناس فى هذا العالم قليل . وقد روى عن (الرئيس ولسون) قوله : إنه كان يثق بالبشرية، ولكنه كان لايثق بالرجال جميعاً . أما القائد الصحيح فيشك بالبشرية ويثق بعدد قليل من الرجال

وكيف السبيل إلى اختيار هؤلاء الرجال ؟ إن أول واجبات الزعيم أن يتعرف إلى جماعات منهم يستطيع أن يختار منها أعوانه ، ومن الصفات القوية فى (المارشال بيتان) التى برزت عندما تولى قيادة الجيش الفرنسى كانت أستاذيته السابقة فى الكلية العسكرية التى مر على يديه فيها أجيال من الضباط الأحداث وكان (جامبيتا) يتجول فى كل ناحية من فرنسا ليتعرف إلى القضاة فى دوائره . والرجل الذى يكتسب شرف القيام بحكم بلاد يجب أن يحاول اكتشاف أحسن الرجال لأهم الدوائر الحكومية - وليس عليه أن يستفيد مما يجد بين يديه فحسب ولكن واجبه يقضى عليه كما تقضى عليه مصلحته أن يخلق مواد جديدة . وتقوم الأحزاب السياسية خارج فرنسا بهذه المهمة . فالمحافظون مثلا فى إنجلترا يصنعون هذا . إنهم يراقبون بيقظة الجامعات الكبرى يرجون أن يجدوا فيها شبابا يتحولون فى المستقبل إلى ساسة ، وهنالك كلية خاصة لتدريبهم ، فإذا أثبتوا ذكاءهم فإن الحزب يكسبهم مقاعد فى البرلمان كما يحاول رئيس الوزراء أن يقدم للاحسن منهم الفرص الممكنة ، فيبوئهم مراكز لمساعدة الوزراء كوكلاء فى البرلمان. ولابد لزعيم الحزب من أن يجند للحزب من حزبه رجالا يصلحون للحكم . وهذا الواجب يقع كذلك على مديرى الأعمال الكبيرة ولا ريب أن بعض هؤلاء يدركون هذه الناحية ، فدارس (كروسو) مثلا تدار بمهارة تدعو للإعجاب؛ فهى لكل طالب الفرصة اللازمة ليتبوأ أى المراكز التى تؤهله لها ملكاته

ومن الصعب فى غالب الأحيان إيجاد التفاهم التام بين المساعدين إذ من الضرورى هنا نفى التعصب أو التحزب المحلى فى أية دائرة لتنسجم تلك الدائرة مع المصالح الأخرى ، ففى السكة الحديد مثلاً حيث تنشأ الخلافات بين الإدارة والأقسام الفنية، أو فى قيادة الجيش حيث ينشأ التشاحن بين مركز القيادة والضباط فى الميادين، فى هذه الحالات يجب أن يدرك كل إنسان أن الجيش أو المعمل أو البلاد تشبه جسما حيا قائما برأسه وأن أى اضطراب يقع بين أعضائه إنما يكون انتحارا محضا

وكثيراً ما يقع أن المساعدين الذين يحجبون رؤساءهم ويخلصون فى العمل لهم يتغلب عليهم الحسد ويتنافس بعضهم مع بعض بشره عنيف فى التماس رضاهم ، فيجب أن يحسب لهذه الحالات المتعبة حسابها وأن يعالجها المعالجة اللازمة لأنها ذات خطر كبير فى نظام العمل ، وكما يستطيع السائق الماهر الخبير أن يعرف بالإصغاء إلى آلة سيارته أن إحدى أسطواناتها لا يقع فيها اشتعال كما يجب ، كذلك الزعيم الموهوب يعرف أن مساعديه لا يؤدون الخدمة اللازمة له ، فيفتش عن السبب ويتوصل إلى معرفته ، وكثيراً مايكون السبب تافها - قد يكون شيئاً من الاتساخ فى آلة الاشتعال ، وقد يكون هزة للأكتاف لا تزيد عند تحليلها على حركة عصبية تؤول على أنها تحقير مقصود

ويتلقى الرئيس تقارير عن نشاط موظفيه ونتائج التعليمات التى أصدرها إليهم ، وهو يطالع هذه التقارير فى حذر وشك . ولقد أعرف رئيساً لمصنع كان يقول إن جميع التقارير كاذبة . وكان على حق ، لأن كل شيء فيها تقريبا عرضة للمبالغة والتشويه ، والطريقة الوحيدة لتجنب الخطأ فى الحقائق هى أن يجرى المسؤول تفتيشا خاصا بنفسه من آن لآخر، ويكون لهذا التفتيش نتائج فعالة للغاية كما تكون الفكرة الناتجة عنه صحيحة ومدعاة لتصحيح التقارير التى ترد فيما بعد ، ويذكر (المارشال بيتان) حكاية وقعت فى

سنة ١٩٥١ عندما عين قائدا فى أحد القطاعات التى طالبت فيها القيادة العامة بالهجوم مرات متوالية كانت البلاغات الصادرة تدل على تقدم بطىء وخسارات فادحة، فلما شك (بيتان) فى الأمر شخص إلى الجبهة ومعه المراصد اللازمة فوجد البلاغات قد شوهت لغاية إرضاء القيادة العليا وأن الانتصارات كانت خيالية لا أساس لها من الصحة. والتقارير التى ترفع لأولى الأمر تكون دائما مرضية أو تقدم على شكل يرجح النظريات التى يؤمن بها صاحب التقرير

والقائد الذى يطالب موظفيه عا يريد يستطيع دائما أن يكسب عطفهم أكثر من قائد لا يبالى بالأمور. وأمثل الطرق لفرض الحزم فى العمل هو أن يحيط القائد نفسه بالأشخاص الذين يجد فيهم من الصفات ما يرضيه. ومن العادة أن يتقبل أى إنسان النقد إذا لم يكن هذا النقدموجها إلى خلقه أو إلى ذكائه. والخطة الحكيمة فى هذا الصدد أن يعرب المسؤول فى سرعة وقوة عما يحس به إحساسا قويا. وإذا وجه توبيخ قاس بسرعة فإنه يكون أقل إيلاما من الإبانة عن عدم الرضا المشحون بالكراهية. ويجب أن يدرك المأمورون أنهم يكونون عرضة للعقوبة إذا لم يقوموا بتنفيذ الأوامر الموجهة إليهم، كما يجب أن يعلموا حق العلم أنهم معفون من جريرة تنفيذ الأوامر التى تؤدى إلى تهلكة. والقائد الحكيم يتحمل دائما المسؤولية الكاملة فيما يقوم به من أعمال

والقائد هو المدافع الطبيعى عن شعبه ضد عدوان المعتدين. ومن اللازم أن يراقب كل قائد عماله أوجنوده أو محاربيه ليستوثق من أن المعاملة التى توجه إليهم من رؤسائهم عادلة محترمة. وهذا أصعب واجبات القائد، إذ يجب عليه أن لا يضعف من سلطة مساعديه ولا يصبر على التصرفات السيئة التى يقترفها أصحاب السلطة منهم. وليس من قاعدة هنا يمكن سنها، وإنما يحاول المسؤول أن يرفع كفة ويرجح أخرى حتى يحفظ التوازن المطلوب

ومن واجبات الزعيم أن يتنبأ ما استطاع بالتذمر الذى يمكن أن يقع فيعالجه كما يعالج الظلم قبل تقديم الشكايات. وللوصول إلى ذلك لابد من الاتصال المستمر بالرجال الذين يعملون معه. وهذا يعنى أن ينزل إلى الخنادق إذا كان قائدا عسكريا وأن يراه العمال قائما بينهم زائراً لهم بين آونة وأخرى إذا كان مديراً لعمل.

ولا بد للزعيم من خيال يسعفه فالاطلاع على حياة الآخرين شىء ضرورى له لكى يتمكن من حماية الذين يكابدون المتاعب منهم. وسر الوصول إلى محبتهم أن يشعر معهم وأن يستطيع مساعدتهم فى أعمالهم بالقدرة التى يستطيعون القيام بها هم أنفسهم. والناس يصبرون على تلقى الأوامر بل يحبون ذلك إذا كانت هذه الأوامر تلقى صحيحة واضحة

ويختلف الحكم على القيادة فى الفن اللازم لها زمن السلم، فالقيادة تعنى إيصال جماعة من الناس تحت نظام صارم إلى غاية معلومة. والضابط فى الجيش يعلم أن رجاله يطيعونه إلا فى الحالات النادرة من العصيان الخطير، وهو يحيط إحاطة تامة بالغاية التى يرمى إليها سواء كانت دفاعية أو كانت للاستيلاء على مقاطعة معينة. ورئيس مشروع تجارى كبير مثلا يعلم أنه يجب أن ينتج بضاعة من البضائع بسعر معين ومقادير محددة كما يعلم أن فشله يؤدى إلى دمار المشروع وإلى تعطل موظفيه وعماله. ومن المعتاد أن يكون قادرا على السيطرة على الموقف مادام يتبع الأنظمة إلا فى حالات يضطرب فيها النظام الاجتماعى. والحاكم المطلق كالقائد العسكرى يقود ولا يحكم

أما رئيس الحكومة فى أمة حرة فيوجه البلاد إلى أهداف متغيرة ويدير أعمال جماعات من الناس غير مكلفين بالطاعة إلا بعامل الخوف من الفوضى. وهذا العامل غير موجود فى أيام السلم. ولا يستطيع أن يقوم بأى عمل دون أن يوجه إليه خصومه النقد بقصد إحلال رجل آخر مكانه فى غير لين ولا رحمة. ومساعدوه فى هذه الحالة لا يبدون له الاحترام اللازم فإنهم أكفأ له وإن منهم خلفاءه فى المستقبل

وهنا يرد هذا السؤال: ماهى الصفات التى نتطلبها فى رجل تلقى اليه أعباء إدارة شئوننا؟ وأول ما فى هذا الباب هو إحساسه بما يمكن وما لا يمكن. وفى الأعمال السياسية يعتبر من العبث أن يخطط القائد مشاريع عالية عظيمة إذا كانت حالة البلاد لا تأذن بتنفيذها. إن دوافع الشعوب الحرة تشبه متوازى القوى، فالسياسى العظيم يدرك كل الإدراك ماهية هذه القوى ويخاطب نفسه دون أن يرتكب خطأ شنيعاً فيقول: «إننى أستطيع أن أمضى إلى هذا الحد لا غير» ولا يسمح لنفسه أن ينحاز إلى طبقة متجاهلا ردالفعل

الذي يحدث عند الجماعات المهملة . والطبيب الحصيف لا يداوي مريضاً من شكوى خفيفة عابرة بعلاج يولد مرضاً في الكبد . والسياسي العادل لا يرضى الطبقة العاملة على حساب الطبقة البورجوازية ، ولا يطلق العنان للبورجوازيين على حساب الطبقة العاملة . وهو يجهد في أن ينظر إلى الأمة نظره إلى جسم حي كبير تعتمد أعضاؤه بعضها على بعض . وهو يزن حرارة الرأي العام كل يوم ، فاذا ارتفعت هذه الحرارة أعد العدة لتلافي الأمر وإراحة الأمة

وهو يدرك الإدراك كله قوة الرأي العام ، ولكنه كسياسي ماهر يعرف أنه يستطيع أن يؤثر فيه بسهولة . فإنه يعرف قوة الشعب على عدم الاكتراث بجهوده، وأن للناس ساعات يبدو فيها منهم العنف ، وحق لهم أن يغضبوا إذا كانت الحكومة تجلب لهم الفقر وتحرمهم ما ألفوا من حرية أو تتدخل في حياتهم الخاصة . غير أنهم يرضون أن يسير بهم رجل يعرف إلى أين يتجه ويبدي لهم بوضوح اهتمامه الصميم لمصالح الأمة، وأنهم يمكن أن يركنوا إليه ويعتمدوا عليه

أما القدرة على معرفة ما يمكن وما لا يمكن فليست تمنى استحالة بعض الأشياء ، لأن هذه صفة سالبة ، ولكنها تمني وقوع الأحداث التي تظهر عسيرة جداً. إن الرجل السياسي المظيم لا يقول لنفسه « هذه الأمة حقيقة » ولكنه يقول « هذه الأمة نائمة ، وإني سأوقظها » إن القوانين والأنظمة والمؤسسات من صنع الناس ولذلك أستطيع أن أغيرها عند الحاجة

وأهم من ذلك كله أنه يتبع العزمة والتصميم أعمال لا أقوال فقط . إن صغار الأحلام من السياسيين ينفقون معظم أوقاتهم في رسم الخطط والدعوة إلى المذاهب . إنهم يتحدثون عن الإصلاح والبناء ويخترعون أنظمة اجتماعية معصومة من الخطأ ويسنون خططاً لسلم دائم. ولقد قلنا عندما بحثنا في فن التفكير أن المشروع شيء والعمل شيء آخر. إن السياسي الصحيح يعرف عند الحاجة كيف يحترم في خطبه العامة النظريات الحديثة ويصرح بعبارات جذابة بفائدة الرجال الذين يحرسون أبواب المعابد ، ولكنه من حيث الواقع إنما يعمل لسد الحاجات الحقيقية التي تحتاج إليها الأمة . فهو يقول مثلا . إن فرنسا سنة ١٩٣٩ ينبغي أن تؤمن السلام ، قبل أي شيء آخر وأن تنشيء لنفسها دفاعاً جوياً بإنشاء عدد أكبر من الطيارات وأن تزيد إنتاجها من الصناعات الأخرى، وأن تنظم أحوالها المالية تنظيماً وطيداً . وهو يعمل على إنجاز هذه الأهداف الواضحة الصحيحة بأحسن الطرق التي يراها ، فاذا صادف عقبات في سبيله فانه يدور حول هذه العقبات. أما الغرور والكبرياء الثقافي والشعور بالحاجة الشديدة إلى نظام شديد زائد فانها موانع خطيرة في وجه السياسي. وبعض زعماء الأحزاب على استعداد لتضحية بلادهم من أجل نظرية أو مجموعة من المبادئ. أما الزعيم الحقيقي فيقول: فلنتنح عن المبادىء ولنخلص البلاد»(١)

هل يكون علمه مبتوراً ؟ هل يعقب ذلك ظلم ؟ إنه يدرك أن هذه ممكنات ، وكل عمل معقد لا يتم بكامله . وفي كتاب (لجورج رنانو) يحاول كاهن مسن أن يعلم كاهناً صغيراً أن القديسين أنفسهم لا يستطيعون أن يحولوا ديراً إلى مجموعة من الأولياء ذوي الاستقامة والصدق التامين . ولكي يدلل على هذا يروي الشيخ حكاية امرأة بلجيكية أرادت أن تحول كنيسة غير نظيفة إلى معبد نظيف مشرق النظافة . فقامت على مهمتها ، وأخذت تزيل الغبار المتراكم . ولكن طبقة من الغبار الجديد كانت تترا كم كل صباح ، كما كان العشب ينبت هنا وهناك وتنسج العناكب خيوطها في الزوايا . غير أن المرأة لم تيأس واستمرت في التنظيف والغسل ، فأخذ الطحلب ينمو على رؤوس الأعمدة ، وتراكم الوسخ في الكنيسة أيام الآحاد . أما أيام الأعياد فقد أرهقتها وذهبت بقوتها واستمر الرجل المسن يقول : « لقد كانت مجاهدة لا شك ، ولكنها كانت مخطئة، وخطؤها لم يكن في علتها في سبيل النظافة ولكن محاولتها التخلص من الوسخ بتاتاً ، كأن شيئاً مثل ذلك ممكن . إن الكنيسة مكان لا بد من أن يظل متسخاً

والقارة أشد اتساخاً من ذلك ، وخاصة إذا كانت قارة عجوزاً مثل أوروبا ، غزتها طوال أجيال عديدة الأعشاب والنمال بالكراهية والمرارة . وكان (ولسون) أشبه ما يكون بالمرأة البلجيكية فقد أراد أن يحيل هذه الأرض العتيقة المتبرة في سرعة مفاجئة إلى حاف من الحامين . كانت فكرة بديعة ولا ريب ، ولكنها

(١) لا أعلم حالة لا يؤول فيها مبدأ صحيح أو نظرية صحيحة إلى خير الأمة ، ولكن طريق التطبيق أو ساعته قد لاتكونان ملائمتين: المعرب

كانت مستحيلة التنفيذ كما يستحيل اليوم أن نحاول تنظيف أوروبا على أساس الواقع فيها مرة واحدة وإلى الأبد. والسياسي المنظم مثل الخادم البارع، يعلم أن التنظيف عملية يجب أن تتم كل صباح، وهو يرى أن الشجار شيء طبيعي فيحتمله بصبر، لأن شجارا آخر سيحدث على أثر ما يهدأ الشجار الأول، وهو يوافق على إجراء تسوية موقتة وإن كانت لا تكفل له ما يريد، لأنه يعلم أن لا شيء في الحياة البشرية يكفل لأي إنسان كل ما يريد بصورة دائمة. والسلم عالمية كانت أو اجتماعية لا بد أن تجيء وإن حالت دون ذلك عقبات متكررة. فتمر سنوات عشر أو عشرون يتم خلالها عمل الجيل ثم يتبع ذلك جيل آخر يمارس حياته اليومية من جديد

ومن حق الزعيم الذي ينال لقبه عن جدارة أن يكون مطاعا. فالمجتمع البشري الذي لا يستطيع أن يولي زعماءه الذين اختارهم الاحترام اللازم مجتمع مقضي عليه، لأنه لا يستطيع العمل. ولا مانع بالطبع من أن يفضل المجتمع نظاما من الحكم على نظام. ففي زمن الحرب مثلا يضطر إلى أن يستبدل بالنظام المدني النظام العسكري، فاذا تم ذلك وجبت الطاعة للزعماء الجدد. أما عدم النظام فيحتم الهزيمة في الجيش والدمار في الصناعة. وأما المجتمعات التي تقع تحت رحمة الأنظمة المتضاربة فتنظيمها سيء. فمن ذلك أن يتقسم العمال داعيتان مختلفان، صاحب العمل والنقابة. وهنا يجب أن تعرف حدود صاحب العمل وحدود النقابة معرفة واضحة. فاذا تم ذلك كان لكل منهما السلطان المطلق في الناحية التي يختص بها: وقد دلت التجربة في إنكلترا والبلاد الإسكندنافية على أن ذلك ممكن

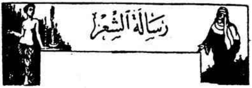
ومن حق الزعيم أيضا أن يحافظ على زعامته، إذ كيف يستطيع زعيم أن يصل إلى نتائج حسنة دون أن يكون لديه الوقت الكافي. وقبل أن يعهد إلى رجل باعادة تنظيم مستعمرة أو تأسيس مصنع للطيران، من المحتم أن يجرى بحثا واسعا وأن نثق أن هذا الرجل هو أحسن الناس للمركز المطلوب: لكن إذا اختير الرجل كان من الواجب إفساح المجال له وإطلاق يده إلا في الحالات التي يتضح فيها أن خطأ وقع في الاختيار، وأن الرجل غير جدير بالثقة. إن الوقت يتيح للانسان إنشاء علاقات لا حصر لها ويسهل له الاضطلاع بأعباء السلطة

وكيف يستطيع المرء أن يوفق بين الإدارة الحازمة والوقت اللازم لها وبين حق الناس في الانتقاد بحرية؟ ألا يتحول قائد له سلطات مطلقة لا كابح لها إلى رجل عسوف أو مجنون؟ أما (الدوس هكسلي) فقد اخترع أخبار (لعبة القيصر) فنظر في أصدقائه على أساس ما يصنع منهم كقيصر لو أسندت إليه السلطة العليا. فلم ينجح في الاختبار إلا عدد قليل. ومن الواضح أن النقد ضروري ولكن السؤال هنا هو ماذا يستطيع النقد أن يفعل وإلى أي حد يجب أن يذهب؟

أما في الجيش وفي جميع الأعمال التي تتطلب اجراء مباشرا فتجب الطاعة العمياء. ويجيء النقد ها هنا من القادة أنفسهم. أما في الحالات العادية من حياة الناس الحرة فان كل إنسان يملك حق النقد في حدود يعينها الاختبار، فاذا أجمعت الأمة كان من الواجب أن يتغير قادتها من وقت إلى آخر، لكن يجب أن لا يشهر بهم ولا أن يغيروا مرات عديدة، أو يسيرهم رجل الشارع. وفي إنشاء الحرية الصحيحة يجب أن يقوم ذلك لا على قوانين عادلة فحسب ولكن على تربية أخلاقية قويمة أيضا وعلى درجة استحقاقنا للحرية كشعب تقررها قدرتنا على احترام الزعيم النظامي وعلى الموافقة على المعارضة والإصغاء إلى ما تقول به، وأن نضع صالح الأمة فوق صالح الأحزاب والنفع الخاص. وليست الحرية شيئا غير قابل للضياع. إنها منحة هامة ولكنها عسيرة المنال، ويجب أن نتمسك بها دائما أبدا

هذه التربية الخلقية التي أشرنا إليها أشد ضرورة للذين كتب لهم أن يقودوا الناس. إذ بالإضافة إلى قدرة الزعيم على ضبط رفاقه، فإنه يجب أن يكون ذا إحساس قوي بالواجب. وهو لا يستطيع الاحتفاظ بمركزه إلا إذا أثبت كل يوم أنه جدير به. وليس زعيما قط من إذا وضع على رأس جماعة أو مشروع حاول أن يجلب النفع لنفسه وليس زعيما من يرضى بقيادة في جيش ويجعل لذاته فوق واجباته. وليس زعيما كذلك من يقع فريسة الغضب أو التحيز، ولا من يضحي وهو ممثل دبلوماسي بمنفعة بلاده الخارجية في سبيل المؤامرات والمشاحنات الداخلية. إن مجال الطبقة الحاكمة هو الإدارة، أي توجيه البلاد في سبيل الشرف والعمل. والقيادة ليست ميزة، ولكنها أمانة وشرف

محمد أديب العامري



فلسطين الضائعة

للأستاذ كمال النجمى

خلت فلسطين من سـاداتها النجب
وأقفرت من بنى آبائهـا الشهب
طارت عن الشاطئ الخالى حمائمه
وأقلعت سفن الإسـلام والعرب !
يا أخت أندلس بذلا وتضحيـة
وطول صبر على الأرزاء والنوب
ذهبت فى لجة الأيام ضـائعة
ضياع أندلس من قبل فى الحقب
وطـوحت ببنيك الصيـد نازلة
بمثلها أمـة القرآن لم تصب
ذادوا عن الدار حتى ذادهم قدر
عـدا على الدار والأسوار والرحب
يا أخت غرناطـة عزا وقرطبة
فى موثق من شباب الدهر مختلب
سلبت من يد أهل الحق مثلهما
بسيف منتهك للحق مستلب !
أهلوك أين همو؟ شطت مهاجرهم
وأسلموا كخماص الطير للعطب
عاشوا جياعا فلما حان حينهمو
جادوا بأنفسهم حرى من السغب
باتوا رماماً جفاه الذئب من شفق
ورحمة وعـداه الصقر من أدب
تجوزه سـاريات الريح معولة
عويل ثاكلة مرت على الترب
اللاجئون بأهليهـم وصبيتهم
والتائهون بهم فى كل مضطرب
والنازحون عن الأوطان شتتهم
بطش العدو وبأس الحادث الحزب
نأوا بأطفـالهـم خوفا كأنهمو
حمائم هـاجرت بالأفرخ الزغب
ويقتل النفس من غم ومن كمد
فـداؤهم وهمو منا على كثب
ديارهم كيف بانت بعد ما نزحوا
عنها وباتوا على الأحجار والكثب ؟
منازل خفقت أضـواؤها ونأت
أطلاؤها وخلت لليوم والغرب !
يحلق الشهـداء الأوفيـاء على
ركامها نحبـاً فى ربعهـا الخرب
كم مسجد بهدم عاث اليهود به
نشوى رءوسهمو من سكرة الطرب
وبيعة سـكرت فيها بناتهمو
وما خجلن ، وأخجلن ابنة العنب
معـابد لا الدعاء السمح منطلق
منها ولا لغـة القرآن والأدب !
أمست طلولا يلم الرسل من جزع
برسمها وينوح الصحب من حرب !
وكم كتـاب أذيلت فى طهارتهـا
وطفلة فجعت فى عرضهـا وصبى
ورب طفل بكى اهتزت لدمعته
وصائل البيت ذى الأستـار والحجب
بكت له الملة الغراء والهمة
وأجهشت ملة الرهبـان والصلب

* * *

يا آل يعرب في مصر وجيرتها
ملأتمو سمع هذا الكون بالصخب
لما تكلم صهيـــون بلهذمه
جاوبتم السيف بالأسجاع والخطب
أضعتمو بلداً عاش الخليل به
وأنزل الله فيـــه أول الكتب
مشى البراق على بطحائه وسرى
بأحمد فوق مسرى الريح والسحب
فليهنأ الغرب بالنصر الذي غنموا
وليغمد القضب الأبطال في القرب

* * *

ضحية الغدر ، أسبلنا مدامعنا
بريئة كدموع المزن لم تشب
أجرت عليك مآق غير كاذبة
دمعا تنزه مسفوحا عن الكذب
إن لم يمنك على عاد فمعذرة
لإخوة لم يضنوا بالدم السرب
فقد تحكم فيهم أجنب شرس
مسيطر فوقهم بالقهر والغلب
يعينه ساسة عرب أبالسة
أزرى بهم كلف بالحكم واللقب
ما فيهمو غير خوان لأمته
مضيع لحقوق الشعب مغتصب
يسير في خيلة الأبطال منتفخا
يهز في يده سيفا من الخشب
يجر أذيال ألقاب منمقة
يختال فيهن كالطاووس ذي الذنب

* * *

أخيذة الغرب هل في الشرق من رجل
مثوب في سبيل الحق محتسب
ذي مرة لم يشب أخلاقه دنس
ولا الطباه هوى اللذات واللعب
يقود يعرب نحو المجد منطلقا
في مهيع واضح عالي الصوى لحب
لا تنثني فرحاب الصبر واسعة
والحظ في صعد آنا وفي صبب
ولن تكوني لصهيون ودعوته
إلا جهنم فاضت منه بالحطب
هل بين هارون أو موسى وبينهمو
من واشج يصل الأرحام أو نسب ؟
ما قوم موسى كليم الله شرذمة
تبيع أعراضها للناس بالذهب !

* * *

يا فلذة من فؤاد الحق قد قطعت
بصارم من دم الأعزال مختضب
لم يبق غير رماد منك محترق
مبدد كرماد النار منتهب
هفا إليك صلاح الدين مدكرا
خالي الوقائع من تاريخك العجب
أطل فوقك شوقا وانثنى ولهاً
بمدمع غارق في الدمع منتحب
يدعو إليك أسود الله ضارية
تعدو على مهج الأبطال والقصب
دعاء ليث له في كل معترك
طعن القنا وزئير الضيغم الغضب
ماض على سنة الآباء مقترب
لله مقترب في الله محترب
بما أدرت لبوات الفلاة غذا
أعراقه ونما في خيسها وربي

* * *

يا يوم حطين عد للشرق ثانية
واخلع على العرب من أثوابك القشب
أعد إلينا صلاح الدين في أجم
من القنا وخميس زاخر لجب

كأن للجن في حطين مزدحمًا
منه يمس قلوب الجن بالرعب

ساروا كتائب للرحمن داعية
بالبيض تغمر وجه الأرض واليلب

يفرجون عن الإسلام كربته
ويعنمون كريم المجد والحسب

ويقهرون العدا إما التقوا بهم
في ساحة رحبة أو معقل أشب

القاحمون على الآساد معقلها
والواثبون وثوب الجن في اللهب

والقارئون كتاب الله في رهب
والواردون حياض الموت في رغب

سادوا الدنا في ظلال الله راضية
وغادروها فنالوا أجر محتسب

* * *

إيه فلسطين والأيام راكضة
بنا تقطع قلب الدهر بالخبب

ماذا سقتك يد الأيام من غصص
أليمة ورماك الدهر من كرب

لما سقطت بكى القرطاس من وله
عليك وانشق صدر السيف من غضب

يبكي عليك بنو الإسلام من عدن
إلى الرياض إلى مصر إلى حلب

قد ذاب كل فؤاد حرقة وجوى
وانشق كل جماد منك لم يذب

بي منك جرح فتى ضيمت عروبته
ومسلم حيز منه عرضه وسبي

ولم أزل كأبي لهفو إليك أسى
ويثني لاعج الأشواق نحوك بي

قاسمت فيك الأسى شمري فقاسمني
حتى وهيت وضج الشمر من لغب

« القاهرة » **كمال النجمي**

الرجوع إلى النيل

للدكتور زكي المحاسني

ماذا تركت من الجوى لفؤادي	من بعد تسهادي وطول ودادي
خل التواصل للأحبة كلهم	كان الهوى أقوى على الإبعاد
خالفت في أهل الصبابة حكمهم	فهمو أرادوا الحب في الآحاد
لكنني أبغي الغرام شراكة	فاحمل معي عبء الهوى المتآد
كل يحب الشمس فاسكب ضوءها	في العين والأضلاع والأكباد

* * *

إنا نزلنا مصر ، لا في زورة	محسوبة الأيام والميعاد
فسل الزمان يجبك : هذي دا	رنا أيام كان الفتح بالأجداد
فإذا عشقنا أرضها وسماءها	وهفا النخيل بنا على الآباد
فلقد رأيناها مرايا عزنا	عكست دمشق وملتقى بغداد
فاعذر حبيبك إن أتاك مكاثرا	يحدوه نحوك باشتياق حادي
خلق الجميل لكي يحب ويشتهى	ويقول من يلقاه ذاك مرادي

* * *

يا مصر يا بنت الخلود جديده	وقديمه ، يا كعبة القصاد
هذي وفود الشام أقبل جمعها	ليراك بين مطارف الأبراد
مهد الكنانة أنت بل دار الندى	شهد الوفاء عليك هذا النادي
فاعجب بكل معلم من أهله	نذر الحياة لحكمة وسداد
واشرب كؤوسك من رحيق نيله	يشفي من الأدواء والأحقاد
وإذا رجعت إليه يوما مثلما	رجع الطيور صدى إلى الأوراد
فقل الذي أسكرتموه بنيلكم	أنتم كتبتم عوده لمعاد

زكي المحاسني

الملحق الثقافي السوري بمصر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قطع العلاقات الأدبية :

أصدرت الحكومة قرارا يقضي بحظر تصدير الورق المطبوع وغير المطبوع إلى الخارج ، علاجا لأزمة الورق الحاضرة ، حتى يتوافر في داخل القطر ما يرد منه . ويتضمن ذلك منع إصدار الكتب التي تطبع في مصر إلى سائر البلاد العربية . . وهذا قرار بالغ الخطورة ! أهون منه حل جامعة الدول العربية وكل ما ينشأ بين الحكومات العربية من خلاف وسوء تفاهم . . .

فالكتاب هو السفير بين هذه البلاد ، وهو سفير يعمل على توطيد المودة وتعزيز القرابة بين أهلها ، وهو سفير صامت يعمل في غير تظاهر ومآدب وحفلات ، لا يخطب بكلام يرن بين الأركان ثم يذهب في الفضاء ، وإنما يتحدث إلى العقول والقلوب فتستكين إليه ويستكن بها ، فإن ذهب تسرب إلى قرار النفوس وبواطن المشاعر .

فالكتاب بين البلاد العربية أساس وحدتها ، وقد سبق « البروتوكلات » بل مهد لها ، وقامت عليه . فليت شعري كيف ينزع الأساس ويظل البناء قائما !

والعجيب أن ذلك القرار يشمل منع الكتب عن جنوب الوادي : السودان ! وهنا معنى سياسي لست أدري كيف خفي على من أعدوا القرار . . وهناك أيضا نواح عملية لست أدري أيضا كيف خفيت عليهم ، فلنا في السودان مدارس تصرف لها الكتب من مصر . . ولدار الكتب المصرية فرع في الخرطوم من الطبيعي أن تمده بما يجد من الكتب ، وكذلك هناك مكتبة النادي المصري بالخرطوم . وإخواننا السودانيون على العموم يحفلون بالمؤلفات المصرية ويستقبلونها من لدنا كما نستقبل من لدنهم ماء النيل

والعجب يبلغ أشده كلما أنعمنا النظر في ذلك القرار . . والظاهر أن الموظفين الذين فكروا فيه وأعدوه إنما نظروا إلى الناحية المادية التجارية المحضة ، نظروا إلى الكتب على أنها بضاعة كالأرز والبصل يمنع إصدارها لتكثر في الأسواق المحلية ، ولم يخطر ببالهم أن قطع الكتب إنما هو قطع للعلاقات الأدبية وصد للتيار الفكري بين البلاد العربية . بل أقول إن النظرية المادية التجارية نفسها غير سليمة ، فمستهلكو الكتاب المصري في مصر قليل ، وهو يعتمد على قراء البلاد العربية الأخرى ، فمنعه من التصدير معناه الكساد وما في هذا الكساد من القضاء على الحركة الفكرية في مصر . ولندع الحركة الفكرية ونستمر في المناقشة الاقتصادية . . إن المواد تمنع من التصدير لتقوم بالحاجة المحلية ، فماذا نصنع بالورق الذي يستعمل في طبع الكتب ، والكتب قد حكم عليها بالكساد . . ؟

وهناك — من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أيضا — دور النشر والطباعة وعمالها . أليس في الحسبان ما يصيبهم من أضرار وتعطل ؟ هل من النظر الاقتصادي السليم أن تحل أزمة بأزمة . . فيدير توافر الأوراق بتوافر البطالة في البلاد ؟

إن ذلك القرار من أين أتيته وجدت فيه الخطل والعجب ، والمخلص الوحيد منه أن يتداركه أولو الأمر ، وفيهم من لا تخفى عليه دقائقه

فلم « ليلى غرام » :

كنت قد أخذت نفسي — في فترة مضت — بتتبع ما يعرض من الأفلام المصرية ، والكتابة عنها ، قاصدا بذلك أن أسلك طريقا أو أساهم في طريق يؤدي إلى حسن استخدام صناعة السينما في نفع المجتمع وخير الناس من حيث معالجة المسائل القومية والاجتماعية ، وتهيئة أسباب المتعة الفنية البعيدة عن التبذل والإسفاف ، وقد رأيت ـ إذ ذاك إزاء خطر هذا الفن باعتباره أكثر الوسائل اتصالا بالجمهور ـ أنه ينبغي أن نصبر على ما في البضاعة الحاضرة من تفاهة وغثاثة ، وأن نولي هذه الناحية اهتماما ، لا بالنظر إلى المعروض ، بل نظراً إلى المثال المرجو منها . وأيدني في ذلك بعض القراء ، وخالفني آخرون قائلين : ما هذا

الذى نكتبه عن شكوكو وكاربوكا واسماعيل يس ؟ اعدل بنا يارجل عن هذه الأشياء إلى الأمور ذات البال . .

وحين وصل إلى سمعى ذلك القول كان صبرى قد نفد وضقت ذرعا بتلك الأفلام ؛ فعدلت عنها واكتفيت بتتبع الروايات التمثيلية ذات القيمة الأدبية التى تمثل على المسرح ابراق

وأخيرا علمت أن هناك فلما أخرج من قصة « اقيطة » التى ظفر كاتبها الأستاذ محمد عبدالحليم عبد الله ، عنها ؛ بجائزة مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ سنوات ، وقد سمى الفلم « ليلة غرام » على اعتبار أن اللقيطة كانت ثمرة لتلك الليلة التى التقى فيها أبواها على حرام

شاهدت الفلم لمكانة قصته وصاحبها من الأدب ، ولنلق أولا نظرة على مجمل القصة قبل الكلام عليها : يعرض الفلم حياة إنسان من حقه أن يكون له بذاته اعتبار فى المجتمع ولكن المجتمع يضطهده ويأبى عليه هذا الحق لذنب جناه غيره ، ذلك الإنسان هو « اللقيطة » التى قذفت بها الأقدار عقب ولادتها إلى ملجأ اللقطاء حيث نشأت لا تعرف لها أبا ولا أما ، ثم خرجت منه بعد أن شبت ، إلى ميدان الحياة ، وكانت فى الملجأ تعانى شعورها بحرمان الأبوين ، فلما أتيح لها شئ من الاستقرار والنجاح فى معترك الحياة جعلت تصارع لؤم الناس وسوء نظرهم إليها لأنها لقيطة ، فقاست ألوانا من الألم والبؤس ، صبرت عليها فى إيمان ثابت يغذيه ويقويه فى نفسها « السيد الأمير » وهو رجل من علماء الإسلام مستنير العقل واسع الأفق ، كان مبدأ صلتها به فى المستشفى الذى كانت تعمل ممرضة فيه ، وكان هو يعالج هناك . ولما يئست هى وخاطبها الطبيب الشاب الذى أحبها وأحبته ، من موافقة أبيه الثرى على زواجهما ، لجأ إلى السيد الأمير الذى استطاع بقوة حجته وشخصيته الدينية أن يقنع الوالد بأن البنت لا ذنب لها فيما جناه أبواها المجهولان ، وكان الحل الأخير أن يتبنى السيد الأمير الفتاة ، ويتم الزواج

ليس الموضوع — وهو الدفاع عن اللقيط البرئ ضد المجتمع الذى يظلمه — ليس هذا الموضوع جديدا ، وليس حتما أن يكون الموضوع جديدا ، فالعبرة بالمعالجة وطريقة التناول ، وقد عالجه المؤلف علاجا حسنا ، وتناوله من نواح واقعية ، وصوره فى صورة حية ، وربط بينها بخيال محبوك الأطراف

كشكول الأسبوع

◻ سعدت فى هذا الأسبوع بقراءة « شباب وغانيات » وهى المجموعة الأخيرة للكاتب القصصى الكبير الأستاذ محمود تيمور بك . وأنا أتلقف قصصه حين ظهورها مشتاقا إليها كوجبات مريئة شهية ، وأتناولها بلذة ومتعة ويطربنى منها أنها تصور الحياة بصدق ، وتكشف خبايا النفوس فى دقة ، بأسلوب الكاتب الذى يجمع بين حر البيان ورقة العصر

◻ صدر أخيرا بالقاهرة ديوان « موكب الذكريات » للشاعر الحجازى الشاب الموهوب الأستاذ حسن عبد الله القرشى ، وهو يشدو فيه بأغاريد نفسه الشاعرة ، ويعبر عن ملابسات حياته وبيئته ويؤدى كل ذلك أداء جيلا نابضا بالحياة

◻ كان المرحوم محمد بك رمزي قد ألف كتابا أسماه « القاموس الجغرافى » تكلم فيه عن البلاد المصرية مدينة مدينة وقرية قرية من الناحية التاريخية والجغرافية . وقد أعد ذلك فى بطاقات ، لكل بلد بطاقة ، ثم توفى قبل إخراجها فى كتاب . ومن نحو ثلاث سنين تسلمتها دار الكتب المصرية من أخى الفقيد الأستاذ أحمد رمزى بك عضو مجلس الشيوخ ، على أن تطبعها فى مدى عام . ومضت هذه المدة ولا تزال البطاقات فى صناديقها بدار الكتب ، وليتها بقيت كاملة . فقد تبين أخيرا أن مدينة القاهرة فقدت برمتها من بين البطاقات ، ولم يعلم حتى الآن أين ذهبت . . .

◻ أصدرت جامعة فاروق الأول دليلها العام باللغة الإنجليزية فقط ! وقد أصدرته ثلاث مرات بهذه اللغة ولم تصدر حتى صورة منه باللغة العربية ! فهل هى جامعة انجليزية أو جامعة مصرية ؟ وهل هى فى بلاد انجليزية أو فى بلاد مصرية ؟ وهل اسمها جامعة جورج السادس أو جامعة فاروق الأول ؟

◻ تحدث مراقب البرامج العربية بالاذاعة ، عن مقترحات السامعين ، فكان منها اقتراح إذاعة « حفلات الزار » وقال المراقب إنا نعتذر عن إجابة هذا الطلب . ويظهر أنه حسب صاحب الاقتراح جادا . وإنما هو يسخر من البرامج كأنه يقول لهم : لم يبق — لاستكمال أنواع السخف — إلا أن تذيعوا حفلات الزار . . .

◻ من طرائف الندوة الكيلانية ، أن جاء ذكر الذين يكتبون هذرا فى بعض الصحف مدعين أنه تجديد فى الأدب ، فقال الأستاذ كامل كيلانى : إنهم « مجددونات » ذاهبا إلى أن اللغة فى حاجة إلى استحداث هذا الجمع : جمع المخنث السالم . .

وبذلك خرج هذا الفلم عن المدارات المتشابهة التي تدور عليها الأفلام المصرية ، وجانب المبالغة التي تعرضها قصداً إلى الإثارة ، وليس بهذا الفلم فراغ كالذي يسد في الأفلام الأخرى بمناظر التهتك وعرض التباذل ، ففيه موضوع يشغله عن ذلك

وقد أخرج الفلم أحمد بدرخان فأحسن إخراجه ؛ بتنسيق المناظر وتوجيه التمثيل ، والمحافظة على ما في القصة من معان أدبية جميلة ، بل بترجمة هذه المعاني إلى لغة السينما ووسائلها ، فجمع مثلا بين مناظر الشروق والغروب وبين خواطر البطلين في الأمل واليأس ، وكانت شخصية السيد الأمير موحية بكثير من المعاني الروحية القوية ، وكانت وسيلة لمعالجة المشكلة من وجهة النظر الإسلامية

وفي القصة كثير من المصادفات التي استعين بها على تسلسل الحوادث وحبكها ، وهي مقبولة لأنها لا تخرج كثيراً عن الواقع ، وأرى لهذه الكثرة أن إظهار الأم مريضة في المستشفى لتتعارف هي وابنتها اللقيطة ، كان صدفة مفتعلة زائدة على ما أشبعت به القصة من مصادفات ، وكان يمكن الاستغناء عن هذا المنظر دون أن يخل ذلك بمجرى الحوادث

التصوير الفني في القرآن

أشرت في الأسبوع الماضي إلى المحاضرة التي كان مقرراً أن يلقيها الأستاذ أحمد الشرباصي في الجامعة الشعبية ، عن كتاب « التصوير الفني في القرآن » للأستاذ سيد قطب ، وحالت بعض الظروف دون إلقائها . وأذكر الآن أن الأستاذ ألقى هذه المحاضرة في جمعية الشبان المسلمين يوم الثلاثاء الماضي . استهل المحاضرة بمقدمة عن سوء التفاهم بين رجال الفن ورجال الدين ، لتمسك الأولين بالتحرر والانطلاق والتزام الآخرين التزمت والتقييد ، وقال إن كلا منهما يغالي في طرفه ، ولو أن الفريقين تركا هذا التغالي لالتقيا عند هدفهما الواحد وهو طلب الجمال الروحي .

وعد المحاضر كتاب « التصوير الفني » أول عمل صريح في سبيل ذلك الهدف ، وقال إن المؤلف هو أول من كشف عن القاعدة التي بنى عليها كتابه ، وهي أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة من المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة . ثم أتى المحاضر بأمثلة من الكتاب تطبيقاً لهذه القاعدة ، ومما قاله أن بعض الناس ادعى أنه سبق المؤلف إلى هذا الموضوع وهي دعوى مردودة ، لأن الأستاذ سيد قطب كتب مقالا — قبل إخراج الكتاب — في مجلة المقتطف بعنوان « التصوير الفني في القرآن » سنة ١٩٤٨ أي في وقت لم يكن أحد فيه قد كتب شيئاً متصلا بهذا الموضوع

ثم أبدى المحاضر بضع ملاحظات تتلخص فيما يلي :

١ — تمنى لو أن المؤلف كتب فصلا عن معنى كلمة « التصوير » وكلمة « الفني » بالنسبة للقرآن لأن الاصطلاح جديد

٢ — قال إن المؤلف كان يعيب على الرافعي أسلوبه لأنه يعبر بالصورة الحسية عن المعاني الذهنية ، على حين أنه يثني على هذه الطريقة في تعبير القرآن

٣ — ذكر أن المؤلف استعمل تعبير « سحر القرآن » وتمنى لو أنه استخدم بدلا منه « جاذبية القرآن » أو « روعة القرآن » لأن السحر في الأغلب يدل على معنى الخداع والتغرير ، وهو الذي كان يقصده الكفار حين وصفوا به القرآن الكريم

٤ — لاحظ على فصل « المنطق الوجداني » في القرآن أن المؤلف يقول : إن العقيدة تقوم على الوجدان ، وقال : إن الوجدان يجيء سابقاً حقيقة ولكن العقل يتدخل بعد ذلك ليبرهن على ما تأثر به الوجدان

٥ — اعترض على عبارة في الكتاب جاء فيها « أدركنا سر الإعجاز في تعبير القرآن » قائلا بأن سر الإعجاز في القرآن لا يدركه فرد ولا يدركه جيل

وختم الأستاذ الشرباصي محاضرته بالإشادة بقيمة الكتاب ومكانة موضوعه الجديد من الدراسات الإسلامية ، مقترحاً أن يدرس هذا الموضوع في كليات الأزهر وكليات الجامعة التي تدرس اللغة العربية

وقد تحدثت بعد ذلك مع الأستاذ سيد قطب وسألته عن

الكتب

كتاب «من أسرار اللغة»

تأليف الدكتور ابراهيم أنيس

الأستاذ بكلية دار العلوم

للاستاذ عبد الستار أحمد فراج

لو أن كل متخصص في نوع من العلوم أو لون من الفنون قدر قيمة ما درس وأخلص في خدمة ما أهلته الحياة أو الدولة له لظافر العلم والأدب بأوفى نصيب من الإنتاج ولجنت الدولة والأمة أينع الثمرات. ولكن الجهود تختلف والبواعث تتفاوت، لهذا اختلفت القيم وتباينت الشخصيات

وكم سافر أناس في بعثات بعد أن اختارتهم الدولة وآثرتهم الأمة، فمنهم من انشغل بمآرب قضاها الشباب هنالك، ومنهم من عاد فأعجب بالمنصب مع زخرف اللقب ولم يفعل غير ذلك، وقليل منهم من وهب الرشد وقوة الجلد فلم يكن من هؤلاء ولا من أولئك

أقول هذا بمناسبة ما ألفه أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس من كتب متعددة في موضوعات مختلفة كانت كلها ثمار غرس أحسن القيام عليه والعناية به على ضوء ما درسه وتخصص فيه، فأثرى وأمثاله نيام، وأنتج وأشباهه خاملون. وآخر ما جلته قريحته هذا الكتاب الذي جمل عنوانه «من أسرار اللغة»

عاد أستاذنا من إنجلترا ١٩٤٢ ونحن إذ ذاك طلبة في السنة الرابعة بدار العلوم فدرس لنا فقه اللغة وكنا على طرفي نقيض؛ نحن متعصبون للقديم من آراء اللغويين لا نريد منه فكاكا،

رأيه في تلك الملاحظات، فشكر جهد الأستاذ الشرباصي في المحاضرة وعبر عن أثرها الطيب في نفسه، ثم رد على الملاحظات واحدة واحدة، قال عن الأولى: أحسب أنني شرحت عبارة «التصوير الفني» ولكن في غير سورة التعريف والتبويب، فالكتاب كله إنما هو شرح وتمثيل وتطبيق، وفي مقدمة فصل «التصوير الفني» ما يغني، وقد تتابعت فصول الكتاب كلها لتشرح هذه القاعدة الكلية وتمثل لها وتوضحها

وقال عن الملاحظة الثانية: لا أذكر أن هذا كان مأخذي على أسلوب الرافعي، بل أذكر أنه كان العكس، فقد كنت آخذ عليه الألاعيب الذهنية في التعبير، والجمل التي ينبع ذيلها من رأسها، والعكس، والتي يحسبها القارئ ماشية «تتقدم!» وتضع يديها في خصرها على الطرس! وليس شيء من هذا كله بسبيل من ذلك الأسلوب القرآني الذي أبنت عنه في الكتاب

وقال عن الثالثة: رأيي أنه مادام المعنى اللغوي يحتمل هذا ويحتمل المعنى الآخر، وهو ألطف المدخل والجاذبية فإن العرف الأدبي إذن هو الذي يحدد، وعرفنا الأدبي الحاضر لا يعتبر سحر البيان معناه الخداع والتغرير، بل يعتبر وصف استحسان

وقال عن الرابعة: أحسب أنني كنت أعني معنى خاصا حينما قلت «المنطق الوجداني» فأنا لم أعن مجرد التأثر الوجداني، بل «المنطق الوجداني» فقد أردت أن أفرق بين هذا المنطق وبين «المنطق الذهني». والمنطق الوجداني هو الذي يقوم على الانطباعات الوجدانية والمقدمات الوجدانية والتأثرات الوجدانية، ولكنه «منطق» وليس مجرد تأثر، أي أنه حكم تسبقه مقدمات من نوع معين، أما المنطق الذهني فهو الذي يقوم على الأقيسة الذهنية المجردة الخالية من الانطباعات والتأثرات. ثم جعلت للذهن وظيفته المحدودة في بناء العقيدة، ولم أنفه من مجالها بتاتا

وقال عن الملاحظة الخامسة: أحسب أن معنى إدراك سر الإعجاز في التعبير القرآني لا يعني الكشف عن سر إعجاز القرآن، فإعجاز القرآن لم يكن فقط في تعبيره، بل في خصائص أخرى كثيرة ترجع إلى صميم الأفكار والمبادئ التي تضمنها، أما إعجاز التعبير فكل جيل يدرك سره كما يراه، ولا يمنع هذا أن يأتي جيل آخر فيدرك هذا السر من زاوية أخرى

عباس خضر



بين المقابر

للقصصي الروسي تشيكوف

بقلم الأستاذ حسين أحمد أمين

— « الريح تعصف ، والظلام يزحف علينا .. أليس من الأفضل أن نعود ؟ »

كانت العاصفة تنساب بين الأشجار الطويلة القديمة عابثة بأوراقها الصفراء المتهالكة ؛ وكان البرد يتساقط بغزارة على جماعتنا .. فإذا بواحد منا ينزلق على الأرض الموحلة فيمسك بصليب كبير يعصمه من السقوط ..

وبدأ الرجل يقرأ ما كتب على الصليب : « إيجور جريا سنوراكوف .. فارس ومستشار خاص .. إنني أعرف هذا الرجل .. لقد كان يحب زوجته .. ولم يقرأ في حياته كتابا واحدا .. وكان حسن الهضم .. وحياته جديرة بأن تعاش .. إنه لم يكن في حاجة إلى أن يموت .. غير أنه — ويا للأسف — مات ضحية لعبقريته وحبه للملاحظة والمراقبة ؛ فبينما كان ينصت من ثقب الباب ذات مرة إذا برأسه يصطدم بالباب صدمة عنيفة مات بسببها .. فتحت هذا الصليب يرقد رجل كان يكره الشعر منذ أن كان في المهد ..

أرى شخصا قادما نحونا .. »

وتقدم منا رجل حليق الوجه في معطف قديم وتحت إبطه زجاجة من الفودكا وفي جيبه ربطة من السجق

وسألنا في صوت أجش : « أين قبر موشكين ، الممثل ؟ »

وقدناه إلى القبر وكان موشكين قد مات منذ عامين ..

وسألناه : هل أنت موظف حكومي ؟ »

— « كلا .. إنني ممثل .. وإنه لمن الصعب في أيامنا هذه أن نميز الممثل من الموظف الحكومي .. هذا شيء غريب وهو بلا شك لا يشرف الموظفين .. »

وهو متشبع بالأبحاث الحديثة لا يؤثر عليها قيوداً ، وما زال بداورنا فتزمت ونقف في طريقه فينساب ، ولكنه أحدث في جمودنا ثقوبا شعت منها أضواء بعد أن جعلناه يلتفت شيئاً ما إلى الوراء . ثم دارت الأيام ونفذ أستاذنا إلى خفايا الكتب العربية ليعيد فيها النظر على أضواء خبرته ودراسته ، وبدأت جهوده المتوالية المباركة تؤتي ثمارها كتباً قيمة ومحاضرات ناضجة بنيت على أحدث النظريات مدعمة بكثير من أقوال العلماء السابقين

إن فصول الكتاب وأبوابه ، وطريقة عرض الأفكار وتسلسلها ، تعجب القارئ وتمتعه ويلذ له ما فيها حتى لو كان بعض (١) ما فيها من استنتاج مبني على افتراض يخالف بعض ما اطمأن إليه القارئ من الآراء ، وقد يدعوه بقوة حجته إلى التأمل فيما قرأ من كتب أو كون من معلومات . كما تبدو للقارئ ظاهرة أخرى قوية ، تلك هي الاستنتاج المبني على الإحصاء الدقيق الذي يدل على تعمق في البحث واستيعاب لما يريد أن يخوض فيه من حديث ، وكل ذلك في أسلوب خلا من التكلف والغموض ولا يكون هذا الإيضاح وتلك العذوبة إلا بعد هضم للمعلومات ووضوح الغرض في النفس وتميز الغاية التي يهدف إليها الكاتب المبين

وكنت أحب أن أنقل بعض فقرات من الكتاب لولا أنني وجدت كل ما فيه متخير ، وأنه — كما يقولون — آخذ بعضه بحجز بعض ، احتوى على طرائف من دراسة البلاغة التي امتزجت بدراسة مفردات اللغة ولهجاتها ، ونحوها وصرفها ، وأدبها من شعر ونثر مع مقارنة باللغات الأخرى ولهجاتها ، متوجاً ذلك كله باستعراض أساليب القرآن المختلفة التي توضح أفكاره وترجحها

لهذا كان على كل أديب ولغوي وباحث أن يقرأ الكتاب ، وسيجد فيه مصداق ما أقول . ولقد أبدع أستاذنا فيما كتب وأحسن فيما ألف فله تهنئتي وتقديري ، راجياً أن يواصل الجهد ويوالي الإنتاج لينفع إخوانه وتلاميذه وليبعث في أولئك القاعدين والخاملين النشاط والحياة . والله يتولى العاملين

عبد الستار أحمد فراج

المحرر بالمجمع اللغوي

(١) أنظر الفصل الخامس « قصة الإعراب »

البريد الأدبي

طرابلس وليست ليبيا

بمناسبة استقلال الشعب الطرابلسي وفوزه بالحرية المنشودة كثر خوض الصحف في ذكر اسم رددته ألسنة العامة والخاصة ولم يقتصر الأمر على هذا وذاك بل وتعداه إلى المحاضر الرسمية باسم ليبيا وتمنى به القطر الطرابلسي بأقاليمه الثلاثة (فزان وبرقة وطرابلس) ومن الغريب أن الرأى السائد عند أهلها يساير هذا الإطلاق أيضا . وهو وإن لم يكن خطأ في الجملة من ناحية فهو ليس بصحيح على وجه العموم من ناحية أخرى على ما سأبينه . أما ليبيا فقد قال عنها ياقوت في معجم البلدان جـ ٧ ص ٣٤١ (لوبية - ليبيا - مدينة بين برقة وإسكندرية) وأهمل ياقوت ضبط موقعها الجغرافي على غير عادته في دقة التحديد بالدرجات والدقائق القوسية. وهذه المدينة لم يبق لها أى أثر يذكر الآن ويقول اليوزباشي محمد إبراهيم لطفي المصرى في كتابه (تاريخ طرابلس الغرب) ص ٨ ما معناه : إن ليبيا هذه هي الصحراء المتاخمة لحدود مصر الغربية وسميت بذلك نسبة للوبى ابن حام بن نوح عليه السلام؛ فقد كانت تسكن هذه الصحراء قبائل من نسله فنسبت إلى جدهم الأكبر ؛ وطلبا للخفة وبحكم التطور عرفت فيما بعد بليبيا . ويلاحظ شيء فارق بين هذا وما ذكره ياقوت

وقال ياقوت جـ ٦ ص ٣٤ عن طرابلس - بألف وبدونه — وذكر أن معناها - مركبا - ثلاث مدن عند الإغريق والرومان وهي مساحة تشغل مالا يقل عن ثلاثمائة من الكيلو مترات . ثم

كان قبر موشكين مختلفا عن سائر القبور وكانت الأعشاب تغطيه وعلى سطحه صليب صغير رخيص الثمن قد أتلفه الثلج ..

وقرأنا على الصليب : الصديق الفنى .. موشكين .. » وكانت الكتابة غير واضحة لتقادم الزمن عليها

وتمتم الرجل وهو ينحني على الأرض فتلمس ركبتاه الطين المبلل : « لقد جمع الممثلون والصحفيون مالا لكى يقيموا له نصبا تذكاريا .. فإذا بهم بعد ذلك يبتلعونه »

« ماذا تعنى بقولك ابتلعوه ؟ »

« أعنى أنهم جمعوا المال لإقامة النصب ثم دسوا المال في جيوبهم. إنني لا أقول ذلك لائما لهم بل مقررا لحقيقة واقعة .. والآن .. سأشرب نخب صحتكم أيها السادة ونخب ذكراه الخالدة .. »

« إن الصحة لن تأتينا بشربك نخبها . والذكرى الخالدة أمر محزن .. لتكن الذكرى مؤقتة دائما فهذا خير للبشر .. »

« هذا حق .. لقد كان موشكين رجلا شهيرا .. وقد حمل الناس خلف نعشه عشرات من الأكاليل . ومع ذلك فقد طواه النسيان في مدى عامين .. لقد نسيه من أحبوه .. أما من أساء إليهم فما زالوا له من الذاكرين .. إنني لن أنساه ما حييت .. أبدا ، أبدا ، لأنني ما تلقيت منه سوى الإساءة .. إنني لا أحبه .. »

« كيف أساء إليك ؟ »

تنهد الممثل وقد بدت على وجهه المرارة والألم : « إساءة كبرى .. لقد كان الرجل — طيب الله ثراه — وغدا واطيا .. فبالنظر إليه والاستماع له أصبحت ممثلا .. وبفنه أغواني فتركت بيتي إلى الأبد ، وقد غرني المجد الفني .. وعدني بالكثير ولم يمنحني سوى الحسرة والدموع .. هكذا المصير الكئيب الذى ينتظر الممثل .. لقد فقدت كل شيء .. الشباب والعاطفة وشبهي بالآلهة وليس الآن في جيبي مليم واحد .. وحذائي بال وملابسي ممزقة .. لقد سلبني الإيمان .. هذا اللص .. ومنحني التفكير الحر والحماقة دون أن يكون لدى أية موهبة .. إن الجو بارد أيها السادة فهلا شاركتموني في الشراب ؟ إن بالزجاجة ما يكفينا جميعا .. فلنشرب نخب رقود روحه في سلام ، إنني لا أحبه .. إنه الآن ميت .. ومع ذلك فلم يكن لي غيره في هذه الحياة .. وكان لي كأحد أصابعي . هذه هي آخر مرة أراه فيها .. فالأطباء يقولون إني سأموت قريبا لفرط الشراب .. وقد أتيت هنا لأودعه وأقرئه السلام، والعفو عن أعدائنا واجب علينا

وتركنا الممثل ليتحدث إلى موشكين وسرنا وفي الجو رذاذ منعش ...

وعندما بلغنا الطريق العام لمحنا جنازة تمر بنا وقد حمل النعش أربعة يلبسون أحزمة بيضاء وأحذية قذرة ... وكانوا يسرعون في الظلام وهم يتعثرون في مشيتهم ...

« لقد مكثنا هنا ساعتين فقط لم دخلوا خلالها ثلاث جثث إلى المقبرة ..

محيى أحمد أمين

أفاض في وصف محاسنها وخيراتها بما يشرف هذا القطر العزيز وانتهى إلى قوله (. وهذا يدل على أنها ليست مدينة بعينها وأنها كورة..) أى أنها قطر. وأنها أعم اسماً من ليبيا ، ثم ذكر طائفة من مشاهير أدبائها ومؤرخيها وذكر في كل نسبة إما الأطرابلسي أو الطرابلسي وأغفل النسبة إلى ليبيا لأى واحد منهم . ومن مؤرخيها العظام (أبو الحسن على بن عبدالله بن مخلوف الطرابلسي — ولم يقل الليبي – له اهتمام بالتواريخ ...

وضع تاريخاً لطرابلس الغرب ... وقال أبو الطيب يمدح :

لو كان فيض يديه ماء غادية عز القطا في الفيافي موضع اليبس

أكارم حسد الأرض السماء بهم وقصر كل مصر عن طرابلس

وقال شاعرها المحارب أحمد بن خراسان الطرابلسي

أحبابنا غير زهد في محبتكم كونى بمصر وأنتم في طرابلس

إن زرتكم فالمنايا في زيارتكم وإن هجرتكمو فالهجر مفترسى

ومن هذا كله يتبين أن اسم طرابلس أشمل وأعم من ليبيا وفي نفس الوقت له ما يستند إليه من الأسماء الوجودية

وأملنا في العهد الجديد كبير في أن يصحح هذه الأوضاع بتعميم اسم طرابلس على جميع القطر رسمياً بدلا من ذلك الاسم الحائر — ليبيا —

هذا ونحن نهيب بمن يعثر على التاريخ المشار إليه آنفاً أن يدل عليه شباب هذا القطر حتى ينتفع به ويكون بذلك قد استجاز الثناء واستوجب الشكر من القطر العربي العريق

مختار محمد هويسة

متى تموت العصبية القبلية :

في عدد مجلة المصور ... الذى صدر يوم الخميس ٢٩ من مارس الماضى سنة ١٩٥١ قرأ الناس قصة عراك نشب في بلدة حلوان بين فريق من أهل البلدة وفريق من أهل دمياط سببه أطفال صغار كانوا يلعبون بكرة أمام منزل أحمد الحلوانيين ، وراح ضحيته رجل في مقتبل العمر خلف وراءه في يد الأقدار أفراخا لما ترش بعد وزوجة مكلومة يقطر قلبها بالدم ، فذكرتني تلك الحادثة بأخرى عاثلها حدثت في مدينة السويس منذ عام بين جماعة من أهل الإسكندرية جاءوا بقضهم وقضيضهم من مصنع السماد الذى يعملون فيه وجماعة من أهل السويس وتجمعوا لملاقاة السكندريين وكانت معركة رهيبة أغمدت فيها السكاكين في الجسوم ، وتفجرت الدماء غزيرة في منظر بشع تتقزز منه النفس ، ولا أظن أن كان لتلك الحادثة سبب أقوى من السبب في الحادثة الأولى ، بل هو كالذى وصفته المجلة بقولها (يشعلها الصغار ويقع فيها الكبار) أو كما هو معروف من المثل الشائع « وأول النار من مستصغر الشرر» . فهذان الحادثان وأمثالهما مما يقع عادة بين العائلات وخاصة في الريف ، لا يجوز للعاقل أن يسميها بالحوادث الطارئة التى تحتمها ظروف خاصة قهرية ، وتتمخض سريعة في نفس اللحظة التى يولد فيها السبب والدافع ثم لا تلبث أن يضيع أثرها . أما أن تركت ذيولا وآثاراً فذلك ما أردت من القارئ أن يشاطرني فهم نتائجه فهماً صحيحاً . وهل خليق بتلك الذيول أن تعمل عملها في الناس وتثير بينهم مثل هذه النوازع إلى الشجار العنيف المميت ؟ أم أن الناس جبلوا على أن يتناولوا المبدأ القديم « أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً » تناولا عماده الجهل وعدم تقدير للعواقب كما كان العرب يتناولونه ويطبقونه في تصرفاتهم قبل شروق الإسلام وأخذ المسلمين به بعد تبيينه من الرسول عليه السلام ؟ الحق الذى لا مراء فيه هو أن الأسباب ما دامت متهالكة واهية والمقدمات ركيكة متداعية فإن النتائج تكون أوهى وأضعف وليست شيئاً ذا بال ... فنخلص من ذلك إلى كلمة نسم بها تلك الحوادث المخجلة المخيفة (وهى النتائج الفادحة لمقدمات تافهة لا قيمة لها ، وعمل الشعوب البدائية القديمة لا عمل الشعوب المتمدينة الحديثة) فنقول : إنها العصبية القبلية والمنجهية البغيضة التى طالما سمعنا وقرأنا عنها وهى تفعل أفاعيلها بين أهل الريف من قرى الصعيد وكثير من قرى الوجه البحرى حيث يفنى بعضهم بعضا ويحكم بعضهم على بعض بالإعدام ، تارة بالرصاص وأخرى بالذبح وثالثة بالشنق والخنق ، وهل بعيدة عنا تلك الحوادث الدامية التى دارت رحاها بين قبيلتى (الهوارة والفلاحين) في مركز دشنا ؟ وإنا لنرى متعجبين أن حياة النازحين من أهل الريف إلى القاهرة والإسكندرية والسويس مثلا برغم تبدلها بانتقالهم من بيئة خشنة جافة في الريف إلى أخرى لينة ناعمة في العواصم فلم تبرح تلك العصبية تتملك أزمتهم وتحيا في رؤوسهم ، حتى بات الأخذ بالثأر القانون الأول في دستور ابن الريف . ولا ندرى متى تنتهى تلك العصبية القبيحة البالية ؟ ومتى يا ترى تحل محلها عصبية أخرى من المحبة والسلام والخير والجمال ؟ ليت شعرى هل يكون صاحب الدم نفسه أول من يستجيب فيرضى الله مخلصاً بالتسامح والعفو ، فيضع حدا لسفك الدماء حقناً لها وإبقاء على حياة البرآء الآخرين ؟

(السويس) محمد عبد الرحمن